إهــداء

إهداء إلى زوجتي ورفيقة الحياة.. شكراً لكونك في حياتي.

إهداء إلى صديق العمر ورفيق الطريق، (باسل سليمان) وهو من أحد أسباب خروج هذا العمل بهذا الشكل..

إهداء إلى (وسام صبحي) صديقتي منذ القدم، ومرشدتي في مجال الكتابة..

إهداء إلى الأخ الذي لم تلده أمي (هاني فهمي) السند في هذه الدنيا ومن أكبر المعجبين والداعمين لكتاباتي.

تنويه هام

الأحداث بالداخل لا تمت لواقع حياة القرية في الحقيقة بأي صله ولا تمت للقرية أو أهلها بأي شكل من الأشكال، فالأحداث المذكورة هي واقع افتراضي فقط، والأحداث الحقيقية المذكورة الداخل هي أحداث تخص الكاتب وحده وبعيده كل البعد عن القرية وأهلها الكرام.

مقدمة

رجاءً أنْ تفعلَ ما سأطلبه منك، أريدُك أنْ تتركَ العالمَ الخارجيَّ وراءَك، فلتنسَ ما يُشغِل بالَك أو يؤرّقه، أرحْ ذهنَك وبدنَك، دع ظهرك يتراخى على مقعدِك المفضل، وابدأ بفتح أولى صفحات الرواية لتقرأها، اقرأ سطورها بعقلِك، وعش أجواءها بروحِك، واستشعر غموضَها بقلبِك.. دعني آخذك إلى الرواية وعالمها الخاص.. دعني آخذك إلى شِمياطِس.

الفصل الأول

ـ ليتني ما عدت الآن ـ

في إحدى الليالي عاد شاب من عمله في ساعة متأخّرةٍ، صعد سلالمَ العمارةِ مترنّحًا من شدّةِ التعبِ، كان همّه الوحيد أن يصعدَ إلى بيته ليلقي بجسدِهِ المتعبِ على سريره؛ ليستريحَ من عمل يوم شاق، صعد آخر درجاتِ السلّم التي تصله لطرقة منزله، فأخذ يمشي في الطرقة بهوانة حتى وصل إلى بابِ بيتِه، أخرجَ الشابُّ مِفتاحَ بيتِه من جيب بنطاله ثم مدّ يدَه ليفتحَ الباب، ولكنْ توقّفتْ يدُه في الهواء للحظة بعد أنْ سمعَ صوتَ حركة في الداخل، وعلى الرغم من توتّره الشديد إلّا أنّه سارع بفتح الباب ليعرف ما الذي يحدث بالداخل.

كان المنزل حالَكَ الظلامِ؛ فلم يستطع رؤية أيّ شيء، وهو الأمرُ الذي زاده توتّرًا، فقَبْلَ خروجِه باكرًا كان قد تركَ نورَ الطرقةِ التي كانت تتوسط المنزل مفتوحًا؛ ليلقي بعضَ الضوءِ على أرجاءِ المكانِ مثْلَمَا اعتادَ أنْ يفعَلَ كلَّ يوم، فبَدَأ يتحسّسُ طريقَه متلمّسًا الحائط بجانبِه ليبحثَ عن مِفتاح الإضاءة في الصالة حتى عثرَ عليه، وما إنْ أضاءه حتى وجدَ ما يخشاه!

تسمّر الشابُّ في مكانه وهو يرى أمامه على بُعد أمتارٍ رجليْنِ متشحيْنِ بالسواد ينظران إليه في صمتٍ دون حراك!

كان أحدهما ممسكًا بحقيبةٍ كبيرةٍ يبدو من مظهرِها الخارجيّ أنّها ممتلئةٌ، بينما الآخرُ موضوعٌ بجانِبِه جهازُ تلفاز قديم على الأرضِ؛ فأدْرَك على الفورِ أنّ منزلَهُ كانَ يتعرّضُ للسرِقَةِ قبْلَ مجيئِه! مرّتْ لحظاتٌ سريعةٌ عليه وهو ينظر إلى اللصّيْن اللذين وقفا في مكانِهِمَا لا يتحرّكانِ بعدَ أنْ افتُضِحَ أمرُهُما، وحدث ما لم يكنْ يضعانِه في الحسبانِ، فاستدار بسرعة محاولًا الوصول إلى الخارج ليهربَ إلّا أنّ أحدَ اللصوصِ لحقَ به قبل أنْ يُدركَ مقبضَ البابِ وأمسَكَهُ مِن الخلفِ ليسحبه إلى الداخلِ ثانيًا، حاول الشابُّ التملصَ والإفلاتَ من اللصّ الذي كان يحكم قبضتيه من حوله مقيّدًا حركته فبدأ الصراخَ بأقصى ما يستطيع أملًا في أنْ يسمعَه أحدُ الجيرانِ ويأتي لينجدَهُ من المصيرِ المجهولِ الذي ينتظره، فأتى اللصّ الثاني من جانبه سريعًا ورفع يدَه الممسكةَ بمطواة ليضربَ بها عنقَ الشابِّ فيذبحه! بينما تركه اللص الآخر ليقع على الأرض!

سَقطَ الشابُّ على الأرضِ ممسكًا برقبتِه والدماءُ تسيلُ منها بغزارةٍ وقد اتسعت عيناه وهو ينظر بهلع محدقًا في اللصّيْنِ اللذين كانا يراقبانه في تبلّد تام منتظرين أنْ يلفظَ أنفاسَه الأخيرة ليكملا ما جاءا من أجلِه، فحاولَ التشبثَ بآخر لحظاتِ الحياةِ التي بدأ يشعرُ أنّها تنسابُ منه شيئًا فشيئًا حتى سقطَ في ظلامٍ عميق!

* * * *

الفصل الثاني

ـ الرحلة ـ

اليوم السابع من أغسطس 1994.. محطة مصر، الساعة الثانية ظهرًا، المشهد اليومي للطبقاتِ الكادحةِ التي تأتي إلى القاهرةِ في الصباح بحثًا عن لقمة العيش، وفي آخرِ اليومِ تتجمّعُ هنا للعودةِ إلى مدنِها الأصليّةِ، تستطيعُ معرفةَ الطقس بمجرد النظر إلى وجوههم الغارقة في العرق، وأعينهم الضيّقة من صّهَدِ الحرِّ، وأنفاسهم البطيئة الساخنة منتظرين إتيان بارقة الأمل المتمثلة في قطعة من الحديد الصدئ المتهالكِ ليجلسوا على أرائكه المهترئة المليئة بالأتربة، آملين أن يوصلهم إلى منازلهم سالمين ليروا ذويهم وأحبّاءهم مرة أخرى، وليعيشوا يومًا آخر!

وفي الدرجة الثالثة في القطار المتجه إلى المنوفية، كان يجلس بجوار النافذة شابٌّ في أوائل الثلاثينيات من عمره، متوسط البنية، ذو ملامح هادئة، يرتدي قميصًا وبنطالًا، ويضع على الأرض بجانبه حقيبة السفر الخاصة به، كان يداعب نظّارته التي على وجهِهِ كلَّ فترةٍ وهو ينظر إلى النافذة من أمامه، وقاطع تأمله الطويل في الحقول الزراعية ـ التي تبدو وكأنّها لا تنتهي ـ تحديقُ رجلٍ عجوز به، كان الرجل يجلس أمامه، ويبدو على ملامح وجهه الفضولُ الشديدُ لمعرفة من هذا الشاب، حيث إنّه لا يبدو على هيئته

أنّه من أهلِ القرى، وما كان من هذا الشاب إلّا أنْ حاولَ قطعَ هذا الصمتَ المليءَ بالريبةِ والغموضِ، قائلًا:

- صباح الخير.

- وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته.

خرج ردُّ الرجلِ العجوزِ على الشابِّ ببرودٍ تامٍّ، وبابتسامةٍ صفراءَ بعد أنْ تأكدّت شكوكه، وعَرَفَ ـ من طريقتِهِ في إلقاءِ التحيّةِ ـ أنّه مِنْ الحَضَرِ، فازْدَادَ فضولُه أكثرَ، وبدأَ بالحديثِ الذي ـ غالبًا ـ لا ينتهي إلا بوصول القطار للمحطة!

لقَدْ اِعْتَبرَ الرّجلُ العجوزُ التحيّةَ ـ التي ألقاها عليه الشابُّ ـ بمثابِة دعوة مفتوحة له ليتطرق إلى كلِّ التساؤلاتِ التي تدورُ في خاطرِه منذ أن رآه فسأله:

- اسمك إيه يا استاذ؟

- أنا اسمي أمير.

- عاشت الأسامي، معاك الحاج خلف.

أوْمَأَ أمير برأسِهَ للرّجلِ مرحّبًا به، وعلى وجهه ابتسامةٌ بسيطةٌ.. فأكمَلَ الرّجلُ:

- وانتَ منين يا أمير؟

- أنا من إسكندرية يا حاج.

- أهل الكرم كله.

- الله يحفظك.

لم تمر سوى بضع ثوانٍ حتى عاد الحاج خلف لأسئلته التي تشعرك بأنه يحقّقُ معك، قائلًا:

- وإيه اللي جابك المنوفية عندنا؟

- أنا رايح لقرية في مركز الشهداء عندكم.. اسمها شِمياطِس.

تعجبّ الرجل من الصدفة التي جمعته بأمير؛ ليقول له في حماس:

- أنا عايش هناك.. قولّي رايح تزور مين؟!

فأجابه أمير ليعرفه بسبب ذهابه، قائلًا:

- أنا شغال صحفي يا حاج.. ورايح عندكم عشان أعمل تحقيق صحفي أكتبه في الجرنال.

بمجرد أنْ سمعَ الحاج خلف كلمة (تحقيق صحفي) حتى لمعت عيناه ببريق الشهرة، وتخيّل نفسَهُ واسمه مكتوبًا في الصحيفة بالفونت العريض "الحاج خلف يكشف غموض القضية"، ثم تخيّلَ نفسه وهو جالس وسط أصدقائه على القهوة يدخن الشيشة بمنتهى الفخر، وأصدقاؤه جالسون حوله، وأحدهم ممسك بالجريدة يحاول جاهدًا قراءة المقال لبقية الأصدقاء الذين يحدّقون في الجريدة والسعادة تغمرهم

وهم يتأملون صورة الحاج خلف الموجودة بجانب العنوان.

- يا حاج، انت رحت فين؟!

أخرجت الجملة التي قالها أمير الرجل من حلم اليقظة الذي كان يعيشه ويستمتع بكلّ لحظة فيه! ولكنّه قرّرَ أنْ يحول حلمه إلى حقيقة فسارع بسؤال الشاب، قائلًا:

- قولي جاي تحقق في إيه وأنا أجيب لك قراره، أنا ما يخفاش عليّ حاجة في البلد.

أُعجب أمير بكلمات الرجل الحماسيّة؛ حيث شعر أنه سيكون بمثابة فاتحة خير في التحقيق الذي جاء من أجله، فأخرج نوتة صغيرة من جيب بنطاله وقلمًا من جيب قميصه ومال الاثنان نحو بعضهما وكلاهما ينتظر كلام الآخر في حماس فبادر أمير بالحديث، ليقول:

- بص يا حاج خلف.. أنا جاي أحقق في موضوع يخص بنت عندكم، كان أهلها..

قاطعه الحاج خلف سريعًا:

- بااس عرفتها! أكيد قصدك مستورة بنت عوضين اللي مش لاقيين جوزها بقالهم يومين.. أنا بردو قلت إن...

- لا يا حاج.. أنا سمعت عن...

- أيوة، يبقى انت أكيد بتسأل على نعمات مرات حسنين، كلنا شاكين إنّ هي اللي سمّت بهايم ضرتها أصل هي...

- يا حاج خلف!

خرجت تلك الكلمات من أمير بمنتهى الحزم، فأدرك الرجل أنّه قد أزعج الشاب بكثرة مقاطعته له، فأطبق فمه وأومأ برأسه إليه ليكملَ كلامه، فأخذ أمير نفسًا طويلًا ليجمع شتات تفكيره، ثم بدأ مرة أخرى، قائلًا:

- أنا جاي يا حاج خلف أحقق في موضوع يخص بنت اسمها جناين، أنا سمعت إنها..

مد الحاج خلف يده أمام وجه أمير ليقطع سرد الحديث، قائلًا:

- متكملش.. أنا عرفت انت عايز تعرف إيه.. دي حكاية طويلة ومحتاجة روقان.

وهنا نادى الحاجُ خلف على شابٍّ في آخرِ القطارِ يبيعُ السميطَ والبيضَ فأتى الشاب مسرعًا له ليعطيَه سميطة وبيضة، وبمجرد أنْ أخذهما منه حتى أشار برأسه ناحية أمير كدلالة على أنّه هو من سيدفع الحساب، وعلى الرغم من استغراب أمير للموقف إلّا أنّه لم يمانع في دفع بعض الجنيهات في سبيل معرفته للقصة.

أمسك الرجل السميطة وقسمها إلى نصفين وبعد ذلك قشر البيضة وبدأ في حشو فمه بقطعة من السميطة وربع البيضة، ومر الوقت وأمير يراقبه وهو يمضغ الأكل ببطء

شديد فشعر أنه سينتظر للأبد لحين أن يبدأ الرجل بالكلام، ولكن تبدد هذا الشعور بمجرد أن عاد الرجل ليكمل كلامه، قائلًا:

- من عشرين سنة فاتوا جات جنانين للدنيا، أمها كان اسمها شادية، وكانت عايشة في بيتها في آخر نواحي البلد هي وأهلها، كنا يادوبك بنشوفها كل شهر مرة في السوق بتشتري منه حاجتها وترجع على بيتها تاني.

بدأ أمير في كتابة ملحوظات سريعة داخل النوتة محاولًا بكل جهد مواكبة ما يقوله الرجل الذي كان يسرد القصة غير مبالٍ بانتظار أمير ليدون ما يقوله، وقطم الرجل جزءًا آخر من البيضة مكملًا كلامه لتخرج الكلمات من فمه ممتزجة بتناثر فتات البيض، وهو يقول:

- لحد ما جه اليوم اللي شادية ولدت فيه بنتها جناين..

بدأ الحاج خلف في السعال نتيجة لكلامه أثناء مضغه للطعام، ولكن أمير لم ينتظر أن ينتهي الرجل من السعال، فأكمل هو باقي الجملة:

- أيوة، احكيلي بالتفصيل اللي تعرفه عن أم جناين؟

أومأ الرجل برأسه موافقًا على الكلام وحاول الرد وهو يسعل:

- كح كح قصدك أم الشؤم كححح كله.

ومن هنا تعالى صوت وقوة سعال الحاج خلف ليضيف جوًّا من التوتر على الموقف، فما بدا في البداية أنّه سعال خفيف قد تحول إلى سعال قوي يدل على أنّ هناك مشكلة جمة بالرجل حيث بدأ لونه في الاحمرار ولم يتوقف عن السعال بقوة والتخبيط على صدره حتى ظنّ أمير أنّ صدرّ الرجلَ سينخلع من قوة سعاله!

وهنا صرخ أمير عاليًا:

- حد يجيب مايه.

تعالت همهمة الركاب وتكدّسوا أمام الرجل الذي كان منكفئًا على الأرض والسعال يكاد يشق ظهره إلى نصفين، وأعطى أحد الركاب أمير كوبًا من الماء فسارع بإعطائه للرجل الذي بدا أنّه كان على مشارف الموت فأخذ منه الماء سريعًا وشرب بسرعة ليهتز الكوب في يده المرتعشة وتتناثر معظم المياه خارج الكوب لتسقط على الأرض، وبمجرد أن انتهى من شرب المياه حتى عاد إلى لونه الطبيعي، وخرجت أولى الكلمات من فمه بعد ذلك لتذهل الحاضرين وعلى رأسهم أمير!

- السماح يا ستنا، السماح يا ستنا.

لم يصدق أمير ما كان يسمعه من الرجل فقد توقع أنْ تكونَ أولى كلماتِه هي أنْ يحمدَ الله على نجاته، ولكنّه فوجئ به وقد ضمّ أرجله ناحية صدره وأحاطهم بيديه وهو يردد ما

يقول ويطلب السماح.

مرّ على هذا الموقف أكثر من ساعة وما زال الحاج خلف على الوضعية نفسها مردّدًا الكلمات نفسها وهو يحاول تجاهل النظر إلى وجه أمير الذي ظلّ محدّقًا به، محاولًا استيعاب ما يحدث، حتى استرعى انتباه أمير ظهور منازل ريفيّة على الطريق يكثر عددها أكثر فأكثر فأدرك أنّ القطارَ أوشك على الدخول إلى محطة المنوفيّةِ.

* * * *

الفصل الثالث

"شِمياطِس"

توقّف القطار في محطته، فنزل أمير منه وبدأ التركيز في خطوته القادمة ومن أين سيبدأ، فقد كان يأمل أنْ يمدّه الحاج خلف بمعلومات أكثر من ذلك، ولكنّه قد لاذ بالفرار من أمام وجهه بمجرد أنْ توقّف القطار، فأوقف أمير سيارة أجرة لتقلّه إلى القريةِ التي ينوي الذهاب إليها، وطلب من السائق اصطحابه إلى هناك، وظلت السيارة تمشي على طريق وعر لساعة من الوقت حتى وصلت إلى وجهتها لينزل أمير منها وهو يرى المكان من حوله والابتسامة على وجهه.

"شِمياطِس.. ما أجملها هذه القرية!" جاءت تلك الكلمات في ذهن أمير بعد أنْ خرج من السيارة متأمّلًا المارة من حوله وحياتهم البسيطة، فالناس هنا لا يفسد يومهم حياة المُدن المقبضة وهمومها التي تطبق على أنفاس من يعيشونها، فشعر بالسعادة لمجرد تواجده بهذا المكان.

لوهلة تخيّل أمير نفسه يعيش في القرية تاركًا كل شيء خلفه أملًا في حياة بسيطة يعيشها هنا، فتنهّد في سعادة لتلك الخيالات، ولكنه قرر إزاحتها من عقله والعودة للتركيز في تحقيقه، فأخرج ورقة من جيب بنطاله ليقرأ عنوان البيت المكتوب بها واسم صاحبه، وكان الشخص

صاحب العنوان هو الحاجّة زينب الداية، وهي التي تستقبل جميع ولادات قرية شِمياطِس، وهي من استقبلت جناين إلى الدنيا، وبالفعل توجّه للعنوان المكتوب على الورقة.

ظهر أمير على مشارف بيت الحاجّة زينب وقد ساهمت نظرات كلّ من يراه في جعلِه يشعر بأنّه شخصٌ غريبٌ غير مرغوب في وجوده، ولكن كلّ هذا لم يهمه؛ فهو ليس هنا لتكوين صداقات، أو لترك انطباعات شخصية لدى أحد، لقد جاء لهدفٍ معيّن ولن يلهيه عن ذلك شيء.

اقترب أمير من البيت متفحّصًا ملامحه القديمة حيث كان مصنوعًا من الطوب اللبن ذي نافذة واحدة، وسقفه مكوّن من الخوص وأكوام القش. طرق على بابه بهدوء خشية أنْ يسقطَ البابُ على الأرض من شدة هوانه، وبعد الطرقة الرابعة فُتح البابُ ببطءٍ شديد وسط صوت أنين مفصلاته الذابلة، وظهرت من خلفه سيدة عجوز في السبعينيات من عمرها مطلة على أمير بابتسامة تكاد تكون غير واضحة بسبب وجهها الممتلئ بالتجاعيد، وبعد أن عرّفها أمير بنفسه أدخلته إلى بيتها ليجلس على الأرض أمام "طبليّة" تبدو أنّها بمثابة طاولة الضيوف ريثما تعد له الشاي.

جاءت الحاجة زينب بالشاي الذي أعدته له ووضعته على الطبليّة، ثم جلست على الأرض هي الأخرى ببطء، وبدأ أمير في التعريف لها عن سبب مجيئه، الأمر الذي لم يصبها بالدهشة، بل بدت ملامحها هادئة للغاية!

وهي تستمع لكلامه حتى جاء دورها في الرد عليه، لتسأله:

- انتَ عايزني أبتديلك منين؟

حاول أمير استكمال ما بدأه من حديث مع الحاج خلف، قائلًا:

- احكيلي يا حاجة عن اللي تعرفيه عن عيلة جناين.. مين هما؟

خرجت تلك الكلمات من أمير متوجّسًا وهو يأمل ألا يصيبها أيّ مكروه، أو يحدث لها مثلما حدث للحاج خلف حين سأله عن هذا الموضوع، أو الأسوأ أنْ تموتَ أمام عينيه مثلما كاد أنْ يحدثَ من قبل مع الحاج خلف والذي كان يصغرها بكثير، بل يبدو بجانبها كشاب في العشرين من عمره، فبدأت الحاجة زينب الكلام، قائلة:

- عيلة جناين كانت شغلانتهم أهم شغلانة ممكن يحتاجها الناس، الناس اللي الكره والطمع عمى قلوبهم.

ظل أمير صامتًا لا يفهم ما ترمي إليه الحاجة زينب، فأكملت كلامها لتقول:

- اللي ليها ضُرة وعايزة جوزها يشوفها مسخ، واللي ليه أخ عايز يورثه فا كل ما يخلف عيل ينزل ميت، واللي يحب واحدة ومبقتش من نصيبه فصابها الشلل، كل ده عيلة جناين تعملهولك.

هنا أدرك أمير ما ترمي إليه الحاجة زينب، فيبدو أنّ عائلة جناين كانت تعمل في أعمال السحر وتسخير الجن، فأكمل أمير أسئلته، قائلًا:

- طب احكيلي عن جناين.

فتنهدت وهي تجيبه قائلة:

- من أكتر من عشرين سنة عيلة جناين كلها كانت ماتت، كان بيتقصف عمرهم واحد ورا التاني وفضلت أمها مكملة شغلانة عيلتها ومبتخرجش من بيتها إلا للسوق تقضي حاجتها وترجع تاني، وكان آخر مرة شفتها قبل ما أولدها كان قبليها بشهر سلمت عليها وكل واحد راح لحاله، وفي يوم لقتها بالليل بتخبط على الباب وبطنها قدامها وعلى وش ولادة.

وبدأت بذكر بقية الأحداث قائلة:

- كنت اليوم ده قاعدة لا بيّ ولا عليّ لقيت الباب بيرزع جامد، قمت مفزوعة من مطرحي وفتحت الباب لقيت شادية كلها عرق والدم سايل منها وعلى وش ولادة، قمت حضرت المايه السخنة بسرعة في الطشت وبدأت أولدها وفي عز الطلق وشادية بتصرخ السر الإلهي طلع ومستحملتش الوجع يا كبدي.

بدا على أمير الاهتمام بباقي التفاصيل فسألها والفضول يعتريه، قائلًا:

- وكانت ولدت البنت ولا لسه؟

هنا بدأت الحاجة زينب في الحديث بصوت خافت وهي تتذكر الموقف:

- لما شادية معادتش بتتحرك روحت ناحية راسها أفوقها لكن طلعت ماتت، فا ببص لقيت الفوطة اللي مدارياها بيها بتتحرك قلت الحمد لله العيل كان خرج وهي بتطلع في الروح، جريت ساعتها أشوف العيل عشان ألحقه لحسن يقع على الأرض.

ثم أكملت في حزن وقد بدأت عيناها تدمع، قائلة:

- ساعتها لقيت جنانين نصها برة، وأول ما سحبتها بإيدي وشفتها.. عرفت إنها هتعيش في عذاب طول عمرها.

فسألها أمير مستفهمًا ليقول:

- طب لما شفتي شادية قبلها بشهر مكنش معاها جوزها ولا حد من عيلتها؟

وهنا جاءت إجابة الحاجة زينب صادمة له فقد رفعت رأسها بعد أن جفت دموعها ونظرت إليه لتجيبه، قائلة:

- أنا لما شفت شادية قبليها بشهر مكنتش متجوزة ولا كانت حامل.

تسمر أمير مما سمعه من الحاجة زينب ولكنّه وعلى الرغم

من إعجابه باسترسالها في الحديث إلا أن ما قالته له لم يكن كافيًا، بل قد زاد الأمر غموضًا وتعقيدًا، وقبل أن تكمل حديثها قبضت بيدها على ذراعه وهي تقول:

- أنا بعتبرها زي بنتي، هي مالهاش غيري بعد ما أمها ماتت كفاية عليها أهل البلد واللي بيعملوه فيها من صغرها، البنت ملهاش ذنب منها لله أمها... أدي أخرة اللي كانت بتعلمه.

أسئلة كثيرة كانت تتطاير بداخل رأس أمير ويحتاج الإجابة عليها، ولكن يبدو أنّ تلك السيدة لن تستطيع إعطاءه المعلومات الكافية التي يحتاجها فحدثها، قائلًا:

- طب أنا محتاج معلومات أكتر عن اللي بيحصل في البلد دلوقتي، هل فيه حد ممكن يفيدني؟

فأجابته:

- يبقى مفيش غير أستاذ كامل هو أكتر واحد ممكن يفيدك.

نظر إليها أمير باهتمام ليسألها:

- مين كامل ده يا حاجّة؟

فعادت لتجيبه:

- كامل ده يبقى ابن العمدة وهو أكتر واحد عارف كل حاجة عن الموضوع ده ومهتم بيه.

فسألها مجددًا:

- طب ممكن عنوانه؟

لتجيبه، قائلة:

- أستاذ كامل عنوانه سهل اسأل على دوار العمدة هتلاقيه هناك.

لم يرد أمير جعل الحاجة زينب تتكبد عناء شرح العنوان بالتفصيل له فظلّ صامتًا للحظات مكتفيًا بالإجابة التي قالتها له فنظر لضوء النهار الخافت المنبعث من النافذة المتهالكة بجواره فوجد أنّ الليل قد شارف على المجيء فقرر الرحيل، فقام من مجلسه بينما ظلت الحاجة زينب جالسة في مكانها تنظر إليه في صمت بعد أن انتهت من كلامها، فخاطبها وهو يبتسم قائلًا:

- اعذريني يا حاجّة الدنيا ابتدت تلّيل فا هستأذن.

أومأت الحاجة زينب إليه برأسها وهي تبتسم له ثم نظرت إلى كوبي الشاي اللذين اختفت الأبخرة منهما وأدركت أنهما قد بردا وراح عناؤها هباء فهمّت بالقيام هي الأخرى لتصحبه للخارج فسارع بمخاطبتها، قائلًا:

- خليكي يا حاجة قاعدة أنا هخرج لوحدي.

أخذ أمير شنطة سفره وهمّ بالخروج من البيت قاصدًا وجهته التالية.

الفصل الرابع

" كامل العوضي"

مشى أمير في طريقه ليصادف رجلًا مارًّا بجانبه، فطلب منه أنّ يدلّه على العنوان.. فأخذ الرجل يشرح له الطريق وبعد أن انتهى شكره أمير ومشى مجددًا في اتجاه الوصف حتى وصل إلى دوار العمدة. بيت مهيب ذو سور حديدي كبير يطل بجانبه على أرض زراعيّة شاسعة، وأمام السور كان يقف اثنان من الغفر يحملان على ظهرهما بنادق خرطوش منشغلان في التحدث مع بعضهما، فاقترب أمير منهما مبتسمًا، وطلب منهما لقاء كامل، فدخل أحد الغفر إلى الداخل مسرعًا ليعود بعد دقائق إليه مرة أخرى ويصحبه إلى داخل الدوار، ثم أجلسه في غرفة ضيافة كبيرة لينتظر قدوم كامل إليه، وفي تلك الأثناء أخذ أمير يتفحّص الغرفة من حوله، كانت الغرفة بها طاولة خشبيّة عتيقة يحيط بها عفش أثري مكوّن من كرسيّين وأريكة كبيرة، وعلى الجدار من خلفها توجد صورة في إطار ذهبيّ عتيقٍ لرجل كبير في السن ذي شارب كثيف، وطلّة مهيبة، يرتدي جلبابًا وفوقه عباءة، وعلى رأسه عِمّة بيضاء، فتوقع أمير أنّها صورة العمدة، وبينما كان يتمعّن النظر فيها سمع خطوات من خلفه قادمة نحوه، فالتفت ليرى من هو صاحبها.. إنه كامل ابن العمدة.

كان كامل شابًّا نحيلا، ذا ملامح هادئة، لا يتجاوز الثلاثين من عمره، ذا بشرة قمحيّة، وشعره أسود ثقيل، وعلى عكس كلّ من صادفهم أمير منذ قدومه إلى القرية كان كامل يرتدي قميصًا وبنطالًا هو الآخر مثله.

قام أمير من جلسته مبتسمًا لكامل الذي صافحه بحرارة، وجلس على كرسي من جواره، ثم نادى لأحد الأشخاص يدعى محروس، فأتى سريعًا من الخارج ليقف بجانبه منتظرًا أوامره، فنظر كامل لأمير وهو يبتسم ليسأله:

- تحب تشرب إيه؟

فأجابه أمير في حياء، قائلًا:

- ممكن كباية شاي سكر خفيف.

فالتفت كامل إلى محروس، قائلًا:

- يبقى نخليهم اتنين شاي سكر خفيف.

أومأ محروس برأسه ثم انصرف عائدًا إلى الداخل في هدوء، نظر أمير إلى كامل مبتسمًا، وأعرب له عن استغرابه من لهجته الحضريّة التي يتحدث بها، فأجابه كامل وهو يضحك ليقول:

- بص يا سيدي، أنا درست حقوق في جامعة عين شمس، وعشت بعدها فترة كبيرة في القاهرة، كنت بشتغل فيها محامي لحد ما والدي صحته ابتدت تتعب ومبقاش بيتحرك

من السرير إلا للضرورة، وأصر إنّي أرجع عشان أمسك شؤون العموديّة؛ لأنه كبر ومبقاش قادر يتابع أحوال الناس ولا يحل مشاكلهم.

ثم حكى أمير له عن سبب مجيئه إلى القرية، وما يعرفه حتى الآن عن جناين، فابتسم كامل له في هدوء، قائلًا:

- أنا هحكيلك عن كل حاجة انت محتاج تعرفها..

قاطع حديثهم قدوم محروس إليهما ممسكًا بصينيّة بها كوبان من الشاي وكوب ماء، ووضعهم على الطاولة من أمامهما فأمسك أمير كوب الشاي ورشف منه رشفة، ثم نظر إلى كامل منتظرًا سماع ما جاء من أجله ففهم كامل من نظر أمير له أنّه قد جاء دوره في الكلام ليحكي له ما يحدث في القرية.

تحدّث كامل عن أحوال القرية التي طالما عاش أهلها في سلام، فهي قرية هادئة قلما يحدث بها أيّ شيء مثير، وحين ولُدت جناين في القرية بعد موت أمها وآخر فرد في عائلتها لم يمنع أهل القرية أن تنشأ وسط أطفالهم، ولكن عاشت جناين طفولة مريرة؛ فقد ولدت بتشوهات في ملامحها جعلتها محل سخرية قرائنها من الأطفال، وكان هذا من أسباب تركها للكُتّاب وانعزالها عن الظهور كثيرًا، فقد كانت تعيش مع الحاجة زينب في بيتها، وكانت تعاملها كابنتها التي لم تلدها، وكانت جناين تساعدها في عملها

كقابلة لأهل القرية، وحين كبرت الحاجة زينب ولم تستطع العمل قررت جناين حينها العمل في جمع المحاصيل، مثل عمل معظم فتيات القرية لتعولها، ومنذ ستة أشهر بدأت أحداث غريبة تحدث لبعض الأشخاص في القرية.. أحداث جعلت أهل القرية يخافون التعامل معها، أو حتى التحدث إليها.

هنا توقّف كامل عن الحديث واقترب من الطاولة ليمسك بكوب الماء ويشرب منه، فنظر أمير إليه بفضول ليسأله:

- وإيه اللي حصل للناس دي وخلى أهل القرية يخافوا منها؟

وضع كامل كوب الماء على الطاولة، واعتدل في جلسته وهو يجيبه:

- من ست شهور فاتوا، وبالتحديد في اليوم اللي جناين تمت فيه عشرين سنة.. جناين كانت تعبانة ومراحتش شغلها، وفي نفس اليوم زارها في بيتها أربع أشخاص، وبعد خروجهم من عندها الأربع أشخاص دول اتصابوا.

ترك أمير كوب الشاي من يده ووضعه على الطاولة، واعتدل في جلسته وهو ينظر إلى كامل وعلى وجهه ملامح الاستغراب من المصطلح المبهم (اتصابوا) الذي استخدمه في وصفه لما أصاب هؤلاء الأشخاص فهزّ كتفه في استغراب، قائلًا:

- اتصابوا! اتصابوا بإيه؟

فتكلم كامل في هدوء ليجيبه:

- اتصابوا بأذى من الجن.

تعجب أمير من إجابة كامل له، وتكلم في حيرة ليسأله مجددًا:

- وليه الجن بيأذيهم؟

اقترب كامل بجسده ناحية أمير وعلى وجهه ملامح الجديّة ليحدّثه بنبرة صارمة، وهو يقول:

- السؤال ده إجابته مش معايا.. إجابته مع اللي أنا رايحله.

ثم قام كامل فجأة من جلسته وهو ينظر إلى الساعة في يده، قائلًا:

- انتَ حظك حلو إنك جيت قبل ما أسافر لقرية هنا جنبينا، هروح أزور واحد هو اللي هيجاوبني ويجاوبك على السؤال ده.. تحب تيجي معايا؟

نهض أمير هو الآخر في حماس وعلى وجهه إجابة السؤال الذي طرحه كامل عليه، فهو لن يفوت فرصة كهذه، فرصة أن يعرف كل ما يحدث بنفسه، فرصة أن يعيش أحداث ما يحقق فيه وليس أن يكتفي بكتابته.

* * * *

الفصل الخامس

"أهل السحر"

خرج أمير وكامل من باب الدوار متّجهيْن إلى الخارج نحو سور الدوار، فنظر أمير أمامه ليجد عربة حنطور مربوطة بحصان يقف بجانبه شخص ممسكًا بسرج ويضعه عليه، فأشار كامل لأمير بيده ليصعد داخل عربة الحنطور، فأمسك أمير بمقبض على جانب العربة ليدفع بعزم جسده إلى الداخل، ثم تبعه كامل ليجلس بجانبه، ثم أنزل غطاء العربة من فوقهم ليلقي بظله عليهم، ثم نظر إلى الشخص الذي كان يعد العربة، قائلًا:

- يلا بينا يا نعيم.

صعد الرجل إلى مقدمة العربة فور سماعه للجملة التي قالها له كامل، وبدأ في خبط السرج على ظهر الحصان ليتحرك الحصان ببطء نحو الطريق المؤدي إلى القرية الأخرى، وبدأت العربة بالتمايل على الطريق الغير ممهد المليء بالحفر مما أصاب أمير بارتباك في معدته، ولاحظ كامل وجه أمير المضطرب، ورآه ممسكًا ببطنه ـ كأنّها ستسقط منه ـ فحاول تخفيف وطأة الموقف عليه فمازحه، قائلًا:

- أنتم معندكوش حنطور في بلدكم ولا إيه؟

نظر إليه أمير بابتسامة بسيطة وهو يجيبه، قائلًا:

- عندنا.. بس ده أول مرة أركبه.

حاول أمير فتح باب الحديث مع كامل ليصرف ذهنه عن تمايل العربة الذي كان قد بدأ يصيبه بالغثيان ليقول:

- وجناين لسه عايشة مع الحاجة زينب؟ أنا مشفتهاش لما رحت هناك.

فتكلم كامل وهو ينظر على الطريق من أمامه ليجيبه:

- جناين يا سيدي كانت عايشة مع الحاجة زينب لحد وقت قريب، لكن لما أهل البلد قلبوا عليها خافت على الحاجة زينب لا يطولها أذى بسببها، فراحت بنتلها عشة جنب الترعة اللي بتطل على الأرض الزراعية بتاعة عيلة الحاج منصور، واشترت بفلوس كانت محوشاها هي والحاجة زينب جدي ومعزة على كام فرخة وبيربوهم وبتطلع جناين كل كام يوم تبيع اللي بيطلعلها منهم وتسترزق.

تطرق إلى ذهن أمير سؤالٌ آخر؛ فهمّ ليسأله:

- ومفيش حد جه حل محل عيلة جناين؟

فأجابه كامل:

- بعد ما أم جناين ماتت محدش من أهل السحر اتجرأ إنه يحل محلها وبقى أهل القرية بيروحوا لناس تانية في البلاد اللي جنبينا.

نظر أمير إلى الطريق من أمامه في شرود لبضع ثوان، ثم التفت برأسه إلى كامل الذي كان يُخرج علبة سجائر من جيب قميصه ليسأله، قائلًا:

- انتَ صحيح مقلتليش احنا رايحين فين.. ولا هنقابل مين؟

أمسك كامل علبة السجائر ليفتحها وأخرج منها سيجارة، ثم أطل بيده الأخرى على جيب بنطاله ليخرج منه علبة كبريت ويشعل بها السيجارة، ثم سحب نفسًا عميقًا منها وهو يلتفت إلى أمير، قائلًا:

- رايحين للشر نفسه.

لم يفهم أمير ما قاله كامل، وما الداعي لهذه العبارة الغامضة فمازحه، قائلًا:

- فك الجو المسرحي ده.. وفهمني طيب.

فأجابه كامل وهو يضحك من رد أمير عليه ليقول له:

- أنا هقولك.. أنا وانت ناس متعلمين.. ما نفهمش في أمور الدجل والسحر، واللي بيحصل لأهل القرية مش هقدر أحله مهما حاولت، فعشان كده كان لازم أروح لحد بيفهم في الأمور دي ويقدر يقولي إيه اللي حصل للناس في بلدنا، وعشان كده احنا رايحين لحسّان المغاوري.. أشهر واحد شغال في أعمال السحر في الناحية كلها، هنروحله يمكن يقدر يساعدني أفك الأذى اللي حل على أهل بلدي.

- طب هو عارف إنك رايحله؟

أومأ كامل برأسه له، قائلًا:

- أنا بعت له مِرسال من كام يوم واتفقنا على إني هروحله النهارده.

أخذ كامل نفسًا آخر من السيجارة، ثم صدم كتفه بكتف أمير مازحًا:

- أديك يا سيدي هتبقى في قلب الأحداث.

ابتسم أمير له هو الآخر ثم نظر أمامه وهو يتكلم كأنّه يحدّث نفسه، قائلًا:

- على الله بس المشوار ده ييجي بنتيجة.

أكمل الحنطور التحرك نحو وجهته وقد استغرق وقتًا طويلًا حتى وصل إلى قرية تدعى سرِسنا، وتحرك أثناء سيره في القرية إلى عدة طرق مختلفة حتى وصل إلى بيت ما، ثم استقر أمامه، فنزل الاثنان منه ونظر أمير إلى نعيم للحظات وهو يفكر ثم عاد ليلتفت إلى كامل ويسأله في فضول:

- هو المِرسال اللي انت بعته للراجل اللي اسمه حسان ده كان نعيم؟

فتكلم كامل وهو يجيبه في تعجب، قائلًا:

- آه.. انت عرفت منين؟

فأجابه أمير وهو يعدل مكان النظارة على وجهه ليكمل:

- أصله عارف الطريق لبيت الراجل، فأكيد جه هنا قبل كده.

ضحك كامل معجبًا بفطنة أمير ليقول:

- هههه، صحفي صحفي مفيش كلام.

تقدّم كامل خطوات قليلة وخلفه أمير حتى وصلا لباب البيت فطرقه كامل مرتين ولم يفتح أحد، فانتظر قليلًا ثم نظر إلى أمير في حيرة من أمره حيث إنّه لا يدري إن كان الرجل موجودًا بالداخل أم لا، فعاد كامل ليطرق الباب مرة أخرى، ولكن قبل أن تلمس قبضته الباب مجددًا فتح الباب رجل كبير في السن ليطل بنظره عليهما في تجهم، كان الرجل أصلع الرأس ذا ذقن بيضاء طويلة وعينين تملؤهما الحمرة، وكأنه لم ينم منذ دهر من الزمن، تأمل كامل وجه الرجل لثوان في شرود، ثم حدثه سريعًا ليقول:

- صباح الخير يا حسان.. أنا كامل العوضي.. أنا جيتلك حسب الاتفاق.

تقدم الرجل خارج بيته ممسكًا بمصباح جاز قديم فأدار ظهره لهما ليقفل الباب غير مبالٍ بما قاله كامل، ثم بدأ في الحديث ليجيبه:

- انت جاي متأخر.. الليل حل علينا وأنا ورايا شغل.

لم يجد كامل ما يقوله ليبرر سبب تأخرهم، فنظر لأمير

بنظرات تطلب المساعدة، وحينها سارع أمير بالرد على حسان، قائلًا:

- اعذرنا معلش.. احنا أغراب ومعملناش حساب المسافة.

التفت حسان إليهما بعد أن أغلق الباب وراءه، ثم نظر إلى أمير وهو يبتسم في خبث ليقول:

- ما أنا عارف إنّك انت بالذات غريب عن المكان ده كله.

وضع كامل يده على كتف أمير وهو يتحدث ليخفف من حدة الموقف، قائلًا:

- أنا عارف إني المفروض أجيلك لوحدي، لكن جه معايا أمير، هو صحفي وجاي بخصوص نفس الموضوع اللي أنا جاي لك فيه فجبته معايا.

نظر حسان لهما ببرود ثم توجه بخطوات هادئة نحو الحنطور الواقف أمام بيته وهو يقول لهما:

- يبقى نكمل كلامنا وأنا بشتغل.. وأهي فرصة توصلوني.

نظر الاثنان إلى بعضهما في تعجب من فرض حسان عليهما بأن يوصلاه فتحركا هما الآخران نحو الحنطور ليتبعاه إلى داخل العربة، وحين صعد الجميع نادى حسان على نعيم، قائلًا:

- امشِ يا ريس زي ما هقولك.

الفصل السادس

"المقابر"

قاد نعيم الحنطور مسْتَمْعًا إلى توجيهات حسان له حتى وصلوا إلى طريق موحِش يقع على أطراف القرية، وهنا أمر حسان نعيم بالتوقف ونزل من العربة ليتبعه كامل ومن بعده أمير، وبمجرد نزول أمير من العربة لاحظ كامل وهو ينظر إلى يافطة على يمينه وعلى ملامحه التوتر فنظر هو الآخر نحوها سريعًا ليعرف سبب توتر كامل مما يراه.

"مدفن عائلة الحاج سويلم الأسيوطي" كُتبت تلك الجملة على يافطة باهتة أكل أطرافها الصدأ، معلّقة على بوابة قديمة من الحديد ومقفولة بجنزير يتوسطه قفل كبير، نظر كلاهما إلى بعض محاولين فهم سبب مجيئهم إلى هذا المكان.

- احنا بنعمل إيه هنا؟!

قالها أمير في تردد بصوت خافت لكامل من أمامه، والذي كان قد مشى بضع خطوات للأمام ليتبع حسان الذي كان متّجهًا نحو سور المقبرة، وحينها توقف حسان أمام السور وأخرج من جيب جلبابه سلسلة بها عدة مفاتيح تبدو كالمفاتيح التي يمسكها اللصوص في الأفلام القديمة ثم أدار وجهه ناحية أمير ليجيبه، قائلًا:

- لا مفيش.. أنا جاي هنا أبيع سبح.

عرف أمير من رد حسان عليه أنّه قد سمع الجملة الأخيرة التي كان يقولها لكامل فأطبق فمه وظلّ يتابع بنظره ما كان يفعله حسان، حيث نظر حسان للمفاتيح وقلّبهم بتركيز حتى استقر على أحد المفاتيح وأدخله في القفل ليصدر صوت صرير بسيط قبل أن يُفتح.

أبعد حسان القفل من الجنزير ودفع البوابة الصدئة بيده وهمّ بالدخول وتبعه الاثنان إلى الداخل، وبمجرد أنْ تقدّم كامل بضع خطوات للأمام مجددًا حتى اعتراه القلق فصاح على حسان، قائلًا:

- افرض حد جه ولقاك فاتح سور المقبرة! احنا كده هنروح في داهية.

- متخفش.. بقيّة العيلة ديّه عايشة في البندر ومجوش من ساعة آخر دفنة.

أجابه حسان دون أنْ يلتفتَ إليه، بل كان ينظر أمامه على الإسمنت الذي يغطي سطح القبر، ثم أخذ يتلفت حوله باحثًا في المكان عن شيء، حتى استقر نظره على جاروف قديم ملقى جانبًا يبدو أنّه يسُتخدم في حفر تراب المقبرة، انحنى حسان ليلتقط الجاروف ويطرق به بقوة على الإسمنت ليتفتت الإسمنت أكثر فأكثر كاشفًا التراب من تحته، فأكمل حسان عمله في إزاحة التراب بالجاروف حتى وصل إلى

باب القبر.

طوال هذا الوقت كان كامل وأمير يقفان دون حراك في مكانهما غير مصدقين لما يفعله حسان، جلس حسان على قرفصائه ليزيح لوحيْن سميكين من الخشب كانا يُغلقان مدخل القبر، وما إن أزاحهما جانبًا حتى انبعثت من الداخل رائحة كريهة في المكان جعلت أمير يقطب حاجبيه في اشمئزاز شديد، بينما وضع كامل يده بحركة تلقائيّة على أنفه وفمه، وهو يقول:

- ففففف... إيه ده؟

- هههه، دي ريحة الأموات يا بيه شكلك منزلتش قبر قبل كده.

قالها حسان ضاحكًا في استهزاء وهو يشعل المصباح، ثم همّ بالنزول على السلالم المؤدية إلى داخل القبر حتى أصبح نصف جسده في الداخل لا يُرى.. وحينها التفت إلى كامل وأمير ليحدثهما، قائلًا:

- أنتم هتفضلوا واقفين كده ولا هتنزلوا معايا؟ شكلكم بتخافوا.

تراجع أمير خطوة للوراء في خوف فاقترب منه كامل وأمسك بكتفه ليهمس في أذنه، قائلًا:

- الراجل ده مينفعش يحس إن احنا خايفين، لازم نبان قدامه

إن قلبنا ميت عشان يعملنا حساب.

ترك كامل كتف أمير، ثم تحرّك نحو القبر في هدوء للنزول وتبعه أمير هو الآخر بعد أن شعرا بضرورة أن يُظهرا بعض الصلابة ليخلفا انطباع حسان عنهما.

تحرك الاثنان إلى داخل القبر ليتّبعا الضوءَ الأصفر المتراقص المنبعث من المصباح القديم الذي يمسكه حسان ليجدونه واقفًا في الداخل ينتظرهما، وبمجرد أنْ نزولهما حتى وجدا نفسيْهما أمام غرفتين يفصلهما جدارٌ من الطوبِ الأحمرِ، فذهبوا وراء حسان إلى الغرفة التي على اليمين، والتي كان على جانبها رفّان فوقهما قماش مهترئ لكفنين باليين يبدوان من مظهرهما أنّهما هنا منذ فترةٍ طويلةٍ، ويقبع تحت الرفّيْنِ كفنٌ آخر تنبعث منه رائحة التحلل، وفي منتصف الغرفة بجانب أقدام حسان كان هناك كفنٌ حديثٌ في داخله جثمان لرجل ضخم الجثة، فوضع حسان المصباح بجانبه، ثم جلس على الأرض ناحية يمين الكفن وأخذ يُشمّر أكمامه استعدادًا لبدء العمل، وقف الاثنان في حيرة من أمرهما لا يدريان ماذا يفعلان هنا، أو بالأحرى ماذا يفعل حسان هنا هو الآخر، فاقترب كامل متوجّسًا نحو حسان ـ الذي كان يفكّ رباط الكفن في هدوء ـ ليقول له:

- انتَ هتعمل إيه؟

- مفيش أحسن من الجتة الطازة يا بيه، بتبقى أحسن

مرسال.

قالها حسان مازحًا وهو يزيح قماش الكفن عن الجثة ليظهر وجه رجل يرتسم على ملامحه السلام الأخير، فأطلّ أمير برأسه من خلف كتف كامل لينظر على ما سيفعله حسان لاحقًا، أخرج حسان من جيب جلبابه ورقة بيضاء مطويّة على شكل مربع صغير مربوطة بها قطعة قماش، وملفوف حولهما لازق شفاف ووضعها فوق صدر الرجل، وبعدها أمسك بيده اليسرى جبهة الرجل ليثبتها في مكانها، ثم أمسك بيده اليمنى الفكَّ السُفليّ ليفتح حلقه، وقف كامل خلف حسان في شرود وعقله يشغله، لم يعرف ماذا عليه أنْ يفعلَ، هل ينقض على هذا الرجل الذي ينتهك حرمة الأموات ويمنعه من فعلته؟ أم يظلّ صامتًا راضيًا بما يحدث أمامه.

- مقلتليش.. أنتم جاينلي ليه؟!

قالها حسان وقد ترك رأس الجثة وهمّ بإمساك الورقة بيده اليمنى من فوق صدر الجثة، ثم انتظر للحظات ولم يسمع ردًّا فالتفت خلفه ورفع رأسه نحو كامل الواقف خلفه ليحدثه، قائلًا:

- يا بيه، انت رحت فين؟

تقدّم أمير ليقف بجانب كامل الذي بدا عليه أنّه لم يسمع أيّ شيءٍ مما قيل ليجيب أمير بدلًا منه، قائلًا:

- احنا جاينلك عشان تفك أذى حل على أهل شِمياطِس.

- ومرحتوش للناس اللي في بلدكم ليه؟!

قالها حسان بعد أنْ أعاد نظره إلى الجثّة ليكمل عمله، وأدخل يده اليمنى الممسكة بقطعة الورق إلى داخل حلق الرجل الملقى على الأرض بجانبه، الأمر الذي جعل أمير يشعر بأنه على وشك الغثيان وهو يشاهد حسان يدفع بيده إلى الداخل في بطء شديد، فحاول التماسك ليكمل حديثه، فيجيبه:

- مبقاش فيه سحرة في البلد، عشان كده جينالك.

التفت حسان خلفه لأمير ممازحًا إياه، وهو يقول:

- خلاص يبقى أنا آجي أشتغل عندكم بقى، ده حتى...

توقف حسان عن الكلام فجأة، وتبدّلت ملامح المزاح التي كانت على وجهه، وارتسمت مكانها الجديّةُ، ثم عاد لينظر ببطء إلى الجثة، الأمر الذي جعل أمير يسارع هو الآخر بالنظر نحوها ليعرف ما حدث!

كانت جثّة الرجلِ تغرس أسنانها في يد حسان بقوّة، بينما جحظت عيناها وهي تحدق نحوه في غضب.

- كامل!

كان أمير يحدث كامل وهو يهز جسده بقوة ليوقظه من شروده، فنظر كامل إلى أمير ـ الذي أشار برأسه في خوف

ناحية حسان ـ فالتفت كامل نحوه ليرى وجه الرجل المُضاء بضوء المصباح وهو جاحظ العينين، وأسنانه تنغرز في يد حسان، بينما كان حسان ينظر إلى وجه الرجل في هدوء وقد بدأت تتضح على وجهه علامات الألم الشديد.

- يا ولاد الكاالب، انتم لحقتوا!!

قالها حسان وهو يحاول أنْ يسحبَ يده من بين أسنان الرجل، ولكن دون جدوى، فحاول سحب يده مرة أخرى للأعلى بقوة جعلت رأس الجثة ترتفع عن الأرض قليلًا وهي تجِز بأسنانها على يده، فأخذ نفسًا عميقًا ثم تنهد وترك يده تتراخى للأسفل، الأمر الذي جعل الرأس ترتطم بالأرض لتحدث صوتَ رطمةٍ خفيفةٍ! التفت كامل لأمير ثم عاد بسرعة للنظر إلى حسان، قائلًا بصوت فزع:

- طب نطلع ننادي حد ولا إيه؟!

رفع حسان يده الأخرى إلى أعلى دون أن يلتفت إلى كامل كإشارة ليتوقف كامل عن الكلام، فأطبق فمه سريعًا، بينما ظلّ ينظر هو وأمير على المشهد أمامهما غير مستوعبين ما حدث.

اعتدل حسان في جلسته واقترب من الجُثّةِ، ووضع يده الأخرى على الأعين الجاحظة لها ليغمي عينيْها تمامًا، وهَمْهَمَ بكلماتٍ لم يستطع الآخرون فهمها. حاولا استراق السمعِ، وفَهْمَ ما يقوله، ولكن دون جدوى، فحتى ما

استطاعا تبيّنه من كلمات كان غيرَ مفهوم لهما؛ فأيقنا في النهاية أنّها كلماتٌ ليست موجهة لبشر.

لم تمر ثوانٍ معدودة من بدء حسان بإلقاء كلماته المبهمة حتى بدأ جسد الرجل المتخشب يهتز، بينما غرس أسنانه بقوة أكثر في يد حسان حتى احمرت، أكمل حسان همهمته بنبرة أكثرَ جديّة والألم يعتصره، بينما كانت يده الأخرى تُغطّي عيني الجثة، وكلما استمر حسان بهمهمته بجديّة كلما زاد اهتزاز الجسد عنفًا لتنحر أسنانه في يد حسان أكثر من قبل..

لم يمر وقت طويل حتى توقّفَ الجسد عن الاهتزاز تدريجيًّا، أخذ الفك في الارتخاء، فتوقّف حسان حينها عن الهمهمة، ورفع يده ببطء عن أعين الجثّة ليجد أنها قد عادت مغلقة مرة أخرى، وقد عاد إلى ما سبق.. نائم في سبات عميق!

أخرج حسان يده ببطء من داخل فم الرجل، ثم قام من جلسته على الأرض ونظر باقتضاب نحو جثّة الرجل، ثم استدار بجسده ملتفّتًا لهما وهو يمسك بيده اليمنى قصبة يده الأخرى ويحرك أصابع يده اليسرى وكأنّه يتأكّد من أنها لا زالت تعمل، اقترب كامل حينها من حسان في غضب، قائلًا:

- خلاص كده ولا لسه في حاجة تانية؟

- لا كده تمام.. يلا بينا.

أجابه حسان وهو يعيد فردَ أكمام جلبابه للأسفل، ونزل بيده ليلتقط المصباح من الأرض، ثم تحرك نحو المخرج ليصعد أولى سلالم القبر المؤدية للأعلى وتبعه كامل وخلفهما أمير الذي أسرع في خطاه متعمّدًا النظر إلى الأمام؛ فقد كان خائفًا من أنْ يلتفت خلفه فيجد جثّة الرجل تنظر إليه، أو شيئًا من هذا القبيل.

ساد الصمت على المكان في الخارج وكلاهما مصدومان وهما ينظران إلى حسان الذي كان يعيد القفل إلى مكانه مرة أخرى ببرود بعد أنْ انتهى من عمله وانتهت حاجته لتلك المقبرة وموتاها تعساء الحظ، وبمجرد سماعه لصوت اصطكاك القفل حتى التفت عائدًا إلى العربة متخطّيًا إياهما وهما يحدقان به حتى صعد إلى العربة فتبعاه ليدخل الجميع إلى العربة، وتحرّك بالحنطور لمسافة قصيرة حتى صعد على الطريق.

وضع كامل يده في جيب قميصه ليخرج علبة سجائره في توتر واضح، وبمجرد أنْ أخرجَ أولَ سيجارةٍ حتى وجد حسان ـ الذي كان جالسًا بجانبه ـ يمدّ يده إليه ليعطيه واحدة، فأعطاها له وأشعلها ثم أشاح بنظره بعيدًا عنه فأرجع حسان ظهره للوراء، ثم استنشق الدخان ونفخه في الهواء ناظرًا إلى الأراضي الزراعيّة من جانبه، بينما بدأ كامل هو الآخر في إشعال سيجارته في توتّر كان واضحًا عليه من اهتزاز يده وهو يمسكها.

نظر أمير إلى يد كامل المرتعشة في صمت فقد كان هو الآخر يشعر بالتوتر مما رآه منذ قليل، ولكنّه قرّر قطعَ الصمتِ المطبق الذي يحيط بهم ليخاطب حسان، قائلًا:

- هو إيه اللي حصل تحت ده؟!

التفت حسان نحوه لينظر إليه في هدوء وهو يجيبه:

- دي جِتّة كان متعزم عليها، الراجل الغلبان مكملش أسبوع من دفنه وولاد الحرام حطوا جواه عمل وعزموا على الجتة عشان محدش يعرف يطلعه منه.

- ولاد الحرام! وانت كنت ناوي تحط إيه جوّاه؟ سلطة طحينة؟

اقتطب حاجبًا حسان من كلام كامل الأخير الموجه إليه، والذي قاله وهو ينظر إلى الأمام دون أن يلتفت له، فقد شعر من كلامه بأنّه يهزأ منه، فاعتدل في جلسته ونظر إليه في غضب، وهو يقول:

- انتَ جاي لي في شغل ولا جاي تتمهزأ عليّ؟

قاطعهما أمير سريعًا ليخفف من حدة الموقف، قائلًا:

- خلاص يا جماعة اللي حصل حصل خلينا في اللي احنا جاينله.

أرجع حسان ظهره للخلف مجددًا وهو ينظر إلى أمير متجاهلًا كامل الذي لا يزال ينظر أمامه في حنق ليقول له:

- أنا موافق على الشغل اللي عايزيني أعمله من غير ما أعرفه بس ليّ شرطين.

انتظر حسان أن يرد أحدهما عليه، لكن لم يجيبه أحد فقد كان كامل لا زال ينظر أمامه شائحًا بنظره بينما كان أمير ينظر إليه منتظرًا أن يكمل كلامه، فنظر إلى كلاهما للحظات وأخذ نفسًا عميقًا ليهدأ ثم قال:

- أول شرط إنّي آجي أعيش عندكم.

التفت إليه كامل سريعًا وهو ينظر إليه بتعجب فأكمل حسان كلامه:

- زي ما أنتم شفتوا الشغل في الناحية دي بقى زحمة وكله بيخش على شغل بعضه، وأنتم قولتوا إنّ المكان عندكم فاضي وأكيد الناس عندكم محتاجة حد يراعي أمورهم ويشوف مطالبهم.

ثم التفت إلى كامل ليكمل، قائلًا:

- وكمان ده هيصُب في مصلحتك يا عم كامل، لما ترجع لأهل البلد بحد يحللهم مشاكلهم هيعرفوا انت قد إيه خايف عليهم وعلى مصالحهم.

جزّ كامل على أسنانه وهو ينظر إلى حسان في غضب غير مصدق ما يقول، فقد كان حسان يتحدث وكأنّه يؤدي خدمة عامة للمواطنين أو شيء من هذا القبيل، ولكن ما لم يكنْ

يعرفْه أنّ حسان ـ بالفعل ـ يرى نفسه يؤدي عملًا مهمًا يمسّ حاجة كلّ الناسِ، ويشعر بالسعادة في أداء عمله وفي خدمة كل من يطلب مساعدته شرًّا أو خيرًا، ثم نظر إلى أمير وعاد ليكمل كلامه:

- وتاني شرط هعوزه هيبقى منك يا أمير.

اعتدل أمير في جلسته بعد سماعه لتلك الجملة متعجّبًا وخائفًا في الوقت نفسه ليسأله:

- مني أنا؟!

فأجابه حسان ضاحكًا:

- هههه، متخفش ده طلب بسيط أو تقدر تسميه خدمة، أنا مش هحتاجها دلوقتي.. بس وقت ما أحتاجها منك هتعملهالي.

- وإيه الخدمة اللي هتعوزها منه؟

قالها كامل مدافعًا عن أمير الذي شعر من ملامح وجهه بأنه يخشى ما سوف يطلبه منه حسان يومًا ما، فأكمل حسان كلامه وقد استغرب من رد فعل الجميع، فالتفت إلى كامل ليجيبه:

- انت مش بتقول إنّه صحفي؟! يبقى أكيد عنده نفوذ ومعارف، وجايز في يوم أحتاج نفوذه ومعارفه مش أكتر.

تنفس الاثنان الصعداء بعدما أكمل حسان كلامه، فاقترب

حسان بوجهه من كامل ووضع يده على ركبته وهو يحدثه بابتسامة عريضة على وجهه، قائلًا:

- قلتوا إيييه؟

نظر كامل إلى أمير الذي أومأ إليه برأسه موافقًا على الشرط الذي يخصه، فشعر بأنّ القرار قد أصبح في يده الآن.. فتكلم، قائلًا:

- قلت دا شر لابد منه، موافقين.

أرجع حسان ظهره مجدّدًا إلى الخلف ممازحًا كامل:

- شر إيه بس.. ربنا ما يجيب شر ولا حاجة.

وأرجع كامل ظهره إلى الخلف هو الآخر وغاب في التفكير.. فهل كان قراره صائبًا أم لا؟ فعلى الرغم من عدم اقتناعه بما قاله حسان بأنّه يؤدي خدمة عامّة للناس، إلا أنّه للأسف هذا هو ما يحدث، فأهل شِمياطِس لم يتوقفوا يومًا عن طلب المساعدة من أهل السحر، حتى بعد موت عائلة جناين سافروا إلى القرى المجاورة باحثين عمن يلبي رغباتهم ويطفئوا نار أحقادهم وأطماعهم، لم يكفوا يومًا عن اللجوء إليهم، ولم يتوبوا أو يتعظوا مما يحدث لهم، وعاجلًا أم آجلًا سيأتي أحد ليطالب بأخذ مكان عائلة جناين ويعيش بينهم، فربما حان الوقت ليأتي وريثٌ جديدٌ لتلك المهنة الملعونة، قاطع تفكيره الطويل توقف الحنطور فنظر بجواره ليرى بيت حسان الذي قام من مكانه ونزل ببطءٍ متّكئًا على

مسند العربة، ثم التفت ليأخذ المصباح من العربة قبل أنْ ينظرَ عاليًا نحوهما، قائلًا:

- بكرة الضهريّة هنتقابل قدام البيت الجديد اللي هسكن فيه.

اتكأ كامل على يمينه ناظرًا للأسفل نحو حسان ليسأله باستهزاء:

- وانتَ هتعرف مكان البيت منين؟

- متقلقش.. هعرفه.

قالها حسان وهو ينظر إليه وعلى وجهه ابتسامة صفراء جعلت شعور الاستهزاء الذي كان بداخل كامل يتلاشى كليًّا، فأخذ يتأمل في صمت حسان الذي تحرك عائدًا إلى بيته، فعاد ليعتدل في مكانه فسأله أمير في فضول، قائلًا:

- وانتَ هتجيب مِفتاح البيت منين؟

فنظر كامل إليه وهو يجيبه، قائلًا:

- شادية لما راحت للحاجّة زينب كان معاها مفتاح بيتها، وبعد ما ماتت الحاجّة زينب عطته لأبويا.. والبيت من ساعتها مفتاحه موجود في الدوّار عندنا، أبويا فتح البيت ده مرة واحدة زمان عشان يلم حاجة شادية ويديها لبنتها، والبيت من ساعتها مهجور.. بس شكله هيسكنه اللي ألعن منها.

ثم التفت لنعيم وهو يتنهد في ليقول له:

ـ ارجع بينا على البلد.

* * * *

الفصل السابع

"العودة"

مر وقت طويل ونعيم يقود الحنطور على الطريق عائدًا بهما إلى القرية، ظل كلاهما صامتيْن معظم الوقت، كلاهما مرّ بتجربة جديدة ورأى ما لم يتوقع أن يراه يومًا، وكلاهما يخشى ما سيراه لاحقًا، كلاهما يحمل قرارًا لا يعرف تبعيّاته، كلاهما وافق على المجهول الذي لا يعرف عقباه.

بدأت ملامح قرية شِمياطِس تظهر على الطريق من بعيد، فنظر أمير إلى الساعه في يده، قائلًا:

- الوقت اتأخّر يادوبك ألحق أنام، عندكم هنا لوكندة أبات فيها؟

فأجابه كامل ضاحكاً:

- فيه اه بس في المركز مش عندنا في القرية، لكن انت هتبات عندي يا عم أمير، خلي بالك.. انت طول ما انت هنا هتبقى في ضيافة بيت العمدة.

فحدثه أمير، قائلًا:

- معلش يا كامل.. أنا مبحبش أتقل على حد، وصلني لأقرب حاجه تودّيني للمركز ويبقى كتر خيرك.

فنظر كامل إليه مبتسمًا ليقول له في ترحاب:

- ولا تتقّل ولا حاجة، الدوّار فيه كذا أوضة ضيافة، معقول تسيب بيت أخوك وتنام في لوكندة!

ابتسم أمير له هو الآخر ليقول:

- معلش.. سيبني على راحتي.

لم يرد كامل أن يضغط على أمير أكثر من ذلك، أو أن يجبره على شيء لا يريده خاصة أنه شعر بأنه من الأشخاص الذين يميلون إلى العُزلة والسكينة، وحينها جاءته فكره أخرى فبادر بطرحها على أمير قائلًا:

- طب انا عندي حل كويس، انا ليا بيت كنت شاريه لوقت خلوتي، ولكني مروحتوش من فتره كبيره بسبب قعادي في الدوار مع ابويا، أيه رأيك تبات انت فيه وهتبقى هناك لوحدك وبراحتك.

لم ينتظر كامل اجابه أمير على مقترحه بل سارع بالنظر إلى نعيم ليحدّثه، قائلًا:

- نعيم.. عدّينا على الدوّار ناخد شنطة أمير وبعد كده هنطلع نوصله للبيت بتاعي.

وبالفعل وصلوا إلى الدوّار وأخذوا حقيبة أمير وتوجهوا إلى الطريق المؤدي للبيت، وظل الحنطور يسير على الطريق حتى تبيّن لأمير ملامح بيت ضئيل منعزل نسبيًا عن البقية، وما أن وصلوا اليه حتى نزل كامل ليسبق امير نحو البيت

ليصل الي بابه ويخرج سلسله مفاتيحه الخاصه وينزع عنها مفتاح وهو يعطيه لأمير قائلًا:

- مفتاح البيت معاك اهه، ومتقلقش محروس كان بييجي كل كام يوم ينضف البيت عشان لو عوزت اجي ولا حاجه.. متقلقش حسان مخليه قصر.

أخذ أمير المفاتيح وهو يبتسم، قائلًا:

- كده تمام أوي، هجيلك بكرة على الضهرية إن شاء الله.

فأجابه كامل:

- إن شاء الله أول ما تيجي هكون جاهز ومستنيك.

لوّح كامل بيده لأمير ثم بد تحرك للعوده للدوار، فحمل أمير حقيبته في يده، ليفتح الباب قليلًا ويدفعه ببطء ليظهر أمامه بهو موضوع في داخله عفش قديم ، فتحرك نحو الطرقه ذات الغرفه الواحده ليفتح باب الغرفة والتي لم تكن ملامحها واضحة في الظلام، ولكنّه لمح من الضوء المنبعث من الطرقة خلفه مفتاح الإضاءة على الحائط بجانبه، وما إن أضاءه ورأى الغرفة حتى عرف معنى غرف القصور، كانت الغرفة مليئة بالأتربة، والتي تبدو أنّ أحدًا لم يدخلها منذ شهور، والإضاءة الموجودة بها عبارة عن لمضة واحدة متصلة بسلك ملحوم في السقف، وبها دولاب قديم وسرير لا يتجاوز طوله الـ 120 سم، وفوقه فرش يبدو أنّه قد نام عليه مئات الأشخاص ولم يجرؤ أحد على غسله من

قبل، وكانت النافذة الموجودة بجانب السرير بها جزء محطم تستطيع رؤية السماء منه بسهولة.

ظلت الجملة التي قالها كامل "محروس مخلي البيت قصر" ترن في أذنيه وهو يحدق في الغرفة غير مصدق كمّ الرفاهية التي سينالها، ثم ابتسم متعجّبًا وأخرج ملابسه من حقيبته ليضعها في الدولاب، وغلب عليه النعاس فقام بتغيير ملابسه وذهب ناحية السرير لينام، وبمجرد أن ألقى بجسده عليه حتى سقط في نوم عميق لم يكن يعرف أنّه سيكون أهدأ نوم يحصل عليه في الفترة القادمة..

وفي الوقت نفسه كان كامل قد وصل إلى بيته مرهقًا من التعب، فدخل إلى غرفته التي كان بها سرير أمام الباب وعلى يساره كومود وبجانبه دولاب كبير، بينما يقع أمامهم بجانب الباب مكتب صغير وكرسيّ خشبي، فقام بتغيير ملابسه هو الآخر استعدادًا للنوم، ثم جلس على مكتبه وأخرج من درجه كراسة مكتوب على جلدتها بخط يده كلمه "مذكراتي"، فلقد كان معتادًا على كتابة يوميّاته حتى في الأيام الرتيبة العادية، وقبل أن يبدأ في الكتابة انقطعت الكهرباء وأظلمت الغرفه من حوله، فابتسم في هدوء حيث إنّه كان معتادًا على انقطاع الكهرباء في القرية، فاستمرار وجود الكهرباء ليوم بأكمله دون انقطاعها كان بمثابة احتفال لديهم، فأخرج من درج المكتب شمعتيْن ومشط كبريت أضاءهم بها وقام ليضع واحدة على الكومود في جانب

الغرفة لتطل بضوئها على الغرفة، وعاد ليضع الأخرى على سطح المكتب من أمامه.

تمعن كامل النظر لظله على الحائط الذي بجانبه لثوانٍ معدودة ثم بدأ في الكتابة، "اليوم قابلنا ساحرًا جديدًا وعلى أن أستقبله بنفسي وأدخله مجتمعي ووسط أهلي، لكل داء دواء ويؤسفني أنْ يكون دواء ما نحن فيه هو بلاء جديد، ولكن ستثبت الأيام القادمة إنْ كان هو الحل لما نحن فيه أم لا، وسنبدأ من الغد.. ولكن عليه أن يثبت جدارته، وأنْ يفكّ الأذى الذي حل على شِمياطِس، وفي الغد سأحكي له عن أول أذى أصاب أهل القرية..

توقف كامل عن الكتابة لثوانٍ لينظر إلى ظلّه على الحائط والجالس على ظلال المكتب هو الآخر ليعتدل ظله في جلسته ويهمّ بالوقوف، تأمل كامل بهدوء ظلّه الذي قام من مكانه، وتحرّك على جدران الغرفة حتى خرج من الباب، فظلّ كامل ينظر نحو الباب الذي خرج منه ظلُّه للحظات ثم عاد ليكتب آخر جملة في مذكرات يومه "وفي الغد سأحكي له عن أول أذى أصاب أهل القرية.. سأحكي له عمّا حدث لي".

* * * *

الفصل الثامن

"صباح جديد"

أتى صباح يوم جديد.. استيقظ أمير منزعجًا على ضوء الشمس الشديد والمنبعث من الجزء المكسور في النافذة ليدخل الغرفة مسلّطًا تجاه السرير أو بمعنى أصح مسلّطًا على وجهه، فما به إلا أنْ قام ونظر في ساعة يده ليجد أنّ الساعة قد جاوزت العاشرة صباحًا، فأشاح بنظره عن الساعة سريعًا ونهض متكاسلًا من سريره، ثم توجّه لغسل وجهه بالماء، وارتدى ملابسه استعدادًا لبدء يوم جديد أملًا في أنْ يصلَ إلى مبتغاه في القريب.

خرج أمير من البيت متجهًا إلى دوار العمدة سيرًا على الأقدام ليستمتع برؤية حياة أهل القرى وهم يمارسون عملهم اليومي، وعند وصوله إلى سور الدوار وجد نعيم واقفًا بجوار الحنطور واضعًا أمامه حفنة من البرسيم على الأرض ليأكلها الحصان بهدوء، بينما كان نعيم يربّت عليه في حنان، وما إنْ رأى أمير حتى قال له مبتسمًا:

- صباح الفل يا بيه.

- صباح الخير يا نعيم، كامل موجود؟

فأجابه:

- آه يا بيه.. هو مستنيك من بدري.

مرّ أمير من جانبه عابرًا البوابة فرأى كامل يقف بعيدًا على أعتاب أرضهم الزراعيّة يراقب في هدوء الفلاحين وهم يعملون بالأرض، وما إن رأى أمير يقترب منه حتى نظر إليه متبسمًا وهو يقول:

- صباح الفل، نمت كويس؟

فأجابه أمير ساخرًا:

- نمت! أنا تقريبا أغمى عليّ، وانتَ؟

- لا.. أنا مبيجليش نوم بسهولة خالص.

قالها كامل وهو يمزح بينما ظلّ ناظرًا نحو الفلاحين في الأرض، ثم التفت لينظر نحو أمير ليجده مغمض العينين يستنشق الهواء في هدوء والسعادة على وجهه.. فسأله ضاحكًا:

- هههه.. انت بتعمل إيه يا عم أمير؟

أجابه أمير وهو يبتسم مغمض العينين ليقول:

- بحاول أستمتع بريحة الهوا اللي عندكم.. جميلة!

فسأله كامل متعجّبًا:

- أنتم معندكوش الهوا ده يعني ولا إيه؟

فأجابه أمير:

- صدقني أنا أول مرة أشم هوا بالجمال ده.. احنا معندناش

الجو ده خالص.

نظر كامل في ساعته ثم توجه إلى أمير بالكلام، قائلًا:

- طب يالا بينا لحسن الوقت هيسرقنا.

تحرك الاثنان مبتعدين عن الأرض ليذهبا نحو خارج الدّوار، فرءآهم نعيم متجهين نحوه فسارع بركوب الحنطور ممسكًا بسرج الحصان استعدادًا للتحرك فور صعودهم.

تحرك الحنطور نحو بيت عائلة شادية القديم والذي يقع على أطراف القرية، وبمجرد أن وصلوا إليه حتى وجدوا حسان موجودًا هناك، كانت معه حقيبة كبيرة استخدمها كمقعد له ليجلس عليها، وما إن رآهم حتى هم بالوقوف سريعًا وعلى وجهه ابتسامة عريضة، قائلًا:

- يا أهلًا.. يا أهلًا.

نزل الاثنان من العربة وتوجه كامل ناحيته بهدوء، ثم أخرج مفتاحًا ليعطيه له فمدّ حسان يده سريعًا ليأخذه.. فحدثه كامل في برود:

- اتفضل المفتاح.

أمسك حسان المفتاح ورفع حقيبته من الأرض وتحرك ناحية البيت وفتح بابه ليدخل وتبعه الآخران في هدوء، وهم يتأملون المكان، كان توقع كامل لشكل بيوت السحرة من الداخل مختلفًا عمّا رآه، فقد توقع أن يرى رأس حيوان

محنط على الحائط، بينما تتوسط الغرفة طاولة عليها المبخرة التي يلقي السحرة البخور داخلها كلّ بضع ثوانٍ ليتصاعد الدخان أكثر وهكذا، ولكنّه وجد أنّ البيت ليس كما تخيّله؛ فقد كان بيتًا تقليديًّا من الداخل ذا أثاث قديم مغطى بالأتربة، وجدرانه عارية خالية من أيّ شيء سوى شباك العنكبوت.

توقف الاثنان عند طرقة البيت فأقفل حسان الباب ثم مشى أمامهما ليتقدم الطريق، قائلًا:

- اتفضلوا.. البيت بيتكم.

توجه حسان ناحية غرفة بها أريكتان خشبيّتان أمام بعضهما يتوسطهما كرسيّ خشبيّ، وفي المنتصف طاولة صغيرة، فتوجه ليفتح شباك الغرفة على مصراعيه ليضيء المكان بضوء النهار، ثم جلس على الكرسي بينما جلس أمير وكامل على الأريكة بجواره.

كان نفسي أقولكم تشربوا إيه، لكن أنا لسه معرفش المطبخ فين.

قالها حسان ضاحكًا وهو ينظر إلى المكان من حوله في حماس، فعلى الرغم من الأتربة التي تغطي المكان والعفش المتهالك إلا أنّ البيت في نظر حسان كان بمثابة بيت جديد وبداية جديدة واعدة له.

ابتسم أمير لحسان وهو يجيبه:

- لا، كتّر خيرك.. الجايات أكتر.

اعتدل حسان في جلسته على الكرسي، ثم تحدث في حماس مخاطبًا إياهم ليقول:

- ها؟ احكولي عن الموضوع من أوله.

حكى كامل لحسان عن جناين منذ ولادتها وحتى يومنا هذا، إلا أنّه توقف في كلامه عند النقطة نفسها التي توقف عندها عندما كان يتحدث مع أمير سابقًا، فبادره حسان بالكلام في اهتمام ليسأله:

- وإيه الأذى اللي بتتكلم عنه؟

خرجت الكلمات من فم كامل في هدوء، قائلًا:

- أنا هبتديلك من الأول، هحكيلك عن أول أذى صاب أهل البلد.. هحكيلك على اللي صابني.

ثم صمت للحظة ونظر إلى أمير بجانبه الذي بدا مصدومًا مما سمعه، حيث إنّ كامل لم يحكِ له من قبل أنه من الناس التي أصابها الأذى بينما انحنى حسان في جلسته إلى الأمام ناظرًا إليه في تركيز فتابع ما كان يقوله:

- الأرض اللي كانت جناين شغالة فيها تبقى أرض أبويا، وأنا لما رجعت للبلد ومسكت مسؤولية الأرض كنت دايمًا بعطف عليها وهي كانت دايمًا بتحس إني أخوها الكبير اللي بياخد باله منها.

ثم تنهد وهو يكمل:

- واللي ماكنتش تعرفه جناين إن قبليها بأسبوع جالي الشيخ رزق في الدوار، هو شاب محترم ومتدين وعايش لوحده، وكان قرر إنه عايز يتجوز عشان يلاقي حد يخدمه ويؤنس وحدته، وكان شايف إن جناين هتبقى مناسبة

ليه؛ لأنّها يتيمة ومكسورة الجناح، وظروفها المادية على قدها ومش هيبقالها طلبات، خصوصًا إنه هو كمان ظروفه المادية بسيطة وعلى قده وفي الوقت نفسه كان عايز يكسب فيها ثواب لأنّه عارف كويس إن محدش هيتقدملها بسبب المشاكل اللي اتولدت بيها من صغرها، وساعتها أنا رحبت جدًّا بالموضوع وهو طلب منى إنّي أروح معاه نتقدملها؛ لأنه كان عارف إن جناين بتعزني وبتسمع كلامي وهعرف أقنعها بالجواز منه، وكنا رايحينلها في اليوم اللي هي مرضت فيه ومكنّاش نعرف، ولما رحنا ولقيناها تعبانة متكلمناش في الموضوع، لكن أنا فاتحت الحاجّة زينب ساعتها ورحبت جدًّا بس قررت إننا منجبش سيرة لحد ما نجيلها تاني بعد ما جناين تخف وأفاتحها في الموضوع بنفسي، واتطمنا عليها هي والحاجّة زينب ومشينا، وبعد ما سبت الشيخ رزق يرجع على بيته قلت أتمشى شوية لحد الدوار.

ثم تابع، قائلًا:

- ساعتها وأنا ماشي حسيت إن فيه حد بيزقني جامد ووقعت على الأرض، ولما قمت بصيت حواليّ ملقتش حد جنبي ولا ورايا وفضلت طول الطريق كل ما أقوم أمشي كام خطوة ألاقي نفسي بقع تاني من غير ما اعرف إيه السبب! فضلت كل مرة أبص حواليّ، ولكن فيه مرة منهم كنت باصص قدامي على الأرض، وقبل ما أقع لمحت ضلي من قدامي بيقع وأنا وقعت بعديه واتكفيت على وشي على الأرض.

ثم نظر إليهم في خوف مؤكدًا ما قاله لهما: ضلي موقعش معايا، ضلي وقع قبليّ وأنا وقعت وراه، وهنا لما قمت فضلت أجري وأقع وأجري وأنا مش داريان بنفسي، ومن ساعتها وأنا دايمًا براقب ضلي واللي بقيت بحس إنّه هو كمان بيراقبني!

ثم صمت للحظاتٍ كأنّه يتذكر ما حدث حينها ليكمل:

- واتأكدت إنّه عارف إني حاسس بيه، وعارف بوجوده لما جيت في يوم قبل ما أنام فضلت قاعد على السرير باصص عليه.. باصص على ضِلّي في الحيطة ومش ناوي أنام.. كنت حاسس إنه هو باصص عليّ كمان، لحد ما لقيته ابتدا يعدل نفسه ونام على السرير واداني ضهره، ساعتها حسيت إن هو فِهم إن مفيش فايدة انه يستخبى مني، ومن يومها الموضوع مبيعديش كعبلة أو وقوع على الأرض.. لحد من أسبوعين وأنا بحلق دقني ضلّي حرك إيده فجأة وإيدي اتحركت معاه، وجرحت نفسي بس ربنا ستر، هنا عرفت إن

ممكن نهايتي تبقى على إيده لو حب ينهي حياتي.

اعتدل أمير ناحية كامل وعلى وجهه علامات الاستغراب ليسأله:

- ثانية واحدة بس، هو ضلّك ازاي بيتحرك في أوقات بحريّة منفصل عنك زي ما نام على السرير لوحده؟ وازاي بيتحرك في أوقات تانية ويحركك معاه زي ما كعبلك قبل كده وزي ما جرحك وانت بتحلق؟

نظر كامل له بملامح يملؤها اليأس والحيرة وكأنه هو الآخر لا يفهم ما يحدث ليجيبه:

- مش عارف يا أمير.. صدقني مش عارف.

نظر أمير إلى ظل كامل على الأرض في فضول وهو يقول:

- معنى كده إنه معانا وإنه سامعنا!

التفت أمير بعدها إلى حسان ليجده محدقًّا في ظل كامل هو الآخر، ولكنه نهض فجأة من جلسته، قائلًا بحزم:

- انت تمشي دلوقتي يا كامل.. انت وأمير وتبعتلي خادم أمين ليك يجيلي وأنا هقوله على اللي يتعمل.

وقف كامل هو الآخر لينظر لحسان متعجّبًا ليقول له:

- طب ما تقولنا على اللي انت عايزه.

- لا.. عشان الكلام اللي أنا هقوله مينفعش اللي معاك

يسمعه.

قالها حسان وهو ينظر لظل كامل على الأرض فنظر كامل هو الآخر نحو ظله ففهم ما كان يقصده حسان، فأومأ برأسه له قائلًا:

- ماشي أنا هرجع على الدوار وهبعتلك حد من عندي في أقرب وقت.

خرج الاثنان من البيت بعد أنْ ودّعهما حسان وأغلقا الباب وراءهما، ثم صعدا إلى العربة عائدين إلى الدوار، وأثناء رحلة العودة لم يحاول أمير أن يعاتب كامل على كتمانه لسرّه وما يحدث له، فربما كان خائفًا عليه من أن يصيبه مكروه أو لا يريد إخافته، أو ربما أنّه كان يريد الإفصاح عن الأمر في الوقت المناسب، كل تلك التساؤلات ظلت تدور في رأس أمير وهو ينظر إلى كامل مشفقًا عليه مما هو فيه، وأثناء سير الحنطور على الطريق بجانب أرض زراعيّة، توجه كامل بحديثه إلى نعيم ليستوقفه سريعًا، وهو يقول:

- قف هنا يا نعيم.

فتوقف نعيم بالحنطور وهمّ كامل بالقيام للنزول منه وربت على كتف أمير ليتبعه ثم نزل من العربة لينظر لنعيم، قائلًا:

- عايزك ترجع الدوار تجيب محروس معاك وتوديه لحسان، وقول لمحروس يفهم اللي حسان هيقوله عليه كويس وينفذه وترجعوا على الدوار تانى.

- حاضر يا بيه.

قالها نعيم لكامل، ثم التفت لينظر أمامه وهو يخبط سرج الحصان ليبدأ الحنطور في السير على الطريق، فأخذ أمير يتابع بنظره الحنطور وهو يتحرك بعيدًا على الطريق ثم عاد ليلتفت إلى كامل ويسأله:

- احنا نزلنا هنا ليه؟

تحرّك كامل ببطء للأمام متّجهًا نحو طريق فرعي يمين الأرض الزراعيّة وهو يجيبه، قائلًا:

- هنروح نزور جناين.

توقف أمير في مكانه لثوان بعد سماع ما قاله كامل له، ثم سار بجانبه نحو الطريق المؤدي إلى البيت دون أن ينبس بكلمة أخرى فقد كان يعتريه الفضول ليرى من تدور حولها كل تلك التساؤلات الغامضة.

* * * *

الفصل التاسع

"جناين"

سار الاثنان في الطريق الفرعي الذي يقع بجانب الأرض الزراعيّة لدقائق حتى وصلا إلى بيت جناين، كان بيتًا صغيرَ الحجمِ مصنوعًا من الطوب اللبن، ذا طلاء قديم باهت اللون، وعلى بضعة أمتار بجانبه توجد زريبة صغيرة مصنوعة من الخشب ويغطي سقفها القشُّ، اقترب كامل من باب البيت وطرقه ثم انتظر لثوان، ولكن لم يفتح أحد، فحدّثه أمير وهو عاقد حاجبيه ويضع يده فوق وجهه بسبب أشعة الشمس القويّة، قائلًا:

- يمكن تكون في الزريبة بتأكّل البهايم.

تحرّك كامل ليصل إليه، ثم تخطاه متّجهًا للزريبة وهو يقول له ضاحكًا:

- بهايم إيه بس، دي يادوبك حيلتها معزة وجدي على كام فرخة.

مشى كامل ناحية باب الزريبة ليطرق عليه، ولكن توقفت يده في الهواء فجأة؛ فقد سمع صوتَ شخصٍ يتحدّث مع جناين في الداخل، فاقترب من الباب، ثم مال بأُذنه ليسمع الحديث الذي يجري.

نظر أمير إلى كامل فرآه يسترق السمع ويضع أذنه على

الباب فتحرك هو الآخر بخطوات هادئة حتى وصل إليه ومال ناحيته وهو ينظر إليه باستغراب ليهمس له ويسأله، قائلًا:

- فيه إيه؟

فقال له كامل بصوت خافت وهو يشير بيده إلى الباب، قائلًا:

- شششش.. اسمع.

وضع الاثنان أذنيهما على الباب ليسمعا حديث الشخص الذي كان في الداخل مع جناين.

- صدقيني.. انتي هتعرفيني أكتر مع الوقت.

- طب ممكن تسيبني أكمل شغلي؟

- ما انتي لما بتخلصي بتخشي البيت ومبشوفكش تاني.

نظر كامل لأمير بعد تلك الجملة الأخيرة التي سمعها بالداخل، قائلًا له:

- خليك هنا.

أدرك أمير من عينيّ كامل وحركته أنّه يستعد لاقتحام المكان ليعرف من بالداخل معها، وقبل أن يتحرك أمير أو ينبس بكلمة، خبط كامل الباب بكتفه بقوة ليفتح الباب سريعًا وقفز إلى الداخل ليرى ما يحدث.

كانت جناين تجلس على ركبتيها وتضع بعض البرسيم أمام

الماعز، فانفزعت حينها من دخول كامل المفاجئ، بينما قفز الدجاج من مكانه وجرى في أنحاء المكان إثر صوت رطمة باب الزريبة.

نظر كامل من حوله في المكان فلم يجد أيَّ أثر للشخص الذي كان يتحدث مع جناين، مما أثار دهشته فليس للزريبة منفذًا آخرًا غير الباب فكيف هرب الشخص من الداخل ولم يره، فلم يكن في المكان سوى الدجاج والماعز الواقفين بجانب البرسيم الموضوع على الأرض، أحدهما تراجع قليلًا للوراء حينما فتح الباب ثم عاد ليأكل البرسيم في صمت، والآخر لا، فقد لاحظ كامل أن الجدي كان ينظر إليه في هدوء ولم يفزع أو يتحرك من مكانه منذ أن اقتحم المكان، بل ظلّ ناظرًا له في صمت للحظات ثم أنزل رأسه هو الآخر للأرض ليلتقط بعض البرسيم ويأكله! قامت جناين من مكانها ممسكة بباقي حزمة البرسيم في يدها لتقف سريعًا مخاطبة كامل في تلهف لتسأله:

- خير يا أستاذ كامل؟! أمي زينب جرالها حاجة؟

نظر كامل من حوله في المكان مرة أخرى والريبة تعتريه، ثم عاد لينظر إليها ويجيبها، قائلًا:

- متقلقيش يا جناين.. أمك زينب بخير، معلش أنا محتاجك في كلمتين برة.

تركت جناين بقية البرسيم من يدها ليسقط على الأرض أمام

الماعز، ثم همّت للخروج وتبعها كامل، ولكنّه قبل أن يخرج نظر مرة أخرى نحو الجدي فوجده قد ترك البرسيم الموجود من أمامه ورفع رأسه من الأرض ليقف محدقًا فيه وهو يخطو خارج الزريبة.

خرجت جناين من الزريبة وبمجرد رؤيتها لأمير تسمّرت في مكانها، فنظر أمير نحوها في حرج من الموقف الذي وضعه كامل فيه، ولكن كان فضوله لرؤيتها أكبر من أن يشيح بنظره عنها، كانت جناين تبدو من هيأتها الخارجيّة مثل أيّ فتاةٍ عاديّة في هذا السن، كانت ملامحها هادئة

للغاية، ولكن كان يُعكّر هذا الهدوء وجود تشوّهات في وجهها، فقد كان هناك تضخمًا كبيرًا في الجانب الأيمن من جبهتها، بينما كان لديها ضعفٌ في جفنها الأيسر جعل عينها لا تكاد تكون ظاهرة بسبب نزول الجفن عليها.

ظلت جناين تنظر لأمير محاولة فهم ما يجري، فهي لا تعرف من هذا الشخص، وما الذي أتى به إلى هنا مع كامل، وما الذي أتى بكامل لهنا من الأصل، فظلت تنظر إليه وتلك التساؤلات تدور في رأسها، بينما اكتفى أمير بابتسامة لها في حياء، ثم أخذ يعدل في نظارته وهو ينظر خجلًا نحو الأرض من أمامه.

- انتي كان فيه حد معاكي جوة؟

قاطعت التساؤلات التي كانت تجول رأسها كلمات كامل

لها وهو آت من خلفها، فالتفتت سريعًا لتنظر إليه ثم عادت للنظر ناحية أمير في توجس وهي تجيبه:

- أنا محدش بييجي يزورني يا أستاذ كامل.

ثم التفتت نحوه مرة أخرى قائلة بحدة:

- ممكن تفهمني مين اللي معاك ده وجايين عايزين إيه؟

نظر إليها كامل لثوان قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا ليكمل كلامه، قائلًا:

- هحكيلك.

أشار كامل ناحية أمير ليعرفها به وبسبب مجيئه إلى القرية، وحكى لها أنه قرر التحقيق في كل ما جرى منذ حينها، وأنه جاء بحسان أملًا في إيجاد حل لما أصاب أهل قريتها، وظلت تستمع له حتى انتهى من كلامه فبدأت هي بالحديث مرة أخرى، لتسأله مجددًا:

- وإيه اللي محتاجين تعرفوه مني؟

فتدخل أمير حينها ليسألها بهدوء:

- احكيلنا إيه اللي حصل بعد ما كامل والشيخ رزق مشيوا من عندكم يوم ما كنتي تعبانة.

تنهدت جناين لتجيب على هذا السؤال وهي تنظر لكامل، قائلة:

- بعد ما مشيتوا جالي عم سليمان اللي بيشرف علينا في الأرض وبيقبضنا يوميتنا عشان يطمن عليّ عشان مجتش الشغل، وجابلي معاه فلوس اليوم اللي قبله لإني يومها استأذنت ومشيت بدري وملحقتش آخد فلوس اليوم اللي اشتغلته، وقعد معانا شوية اطمن عليّ ومشي، وبعدها بساعتين فاتن جاتلي البيت.

نظر إليها كامل باستغراب وهو يسألها:

- وفاتن جتلك البيت ليه؟ اللي أعرفه إنك انتي وهي مش صحاب.

ارتسمت على وجه جناين ابتسامة سخرية وهي تحدثه، قائلة:

- ومين قالك إنها جات تطمن عليّ، أنا مكنتش بحكي لأمي زينب على اللي بتعمله فاتن معايا وأنا في الشغل، كانت دايمًا بتضايقني وتضحك بقية البنات عليّ، ولما جت البيت مثلت قدام أمي إنها جاية تطمن عليّ وأول ما أمي قامت تجبلها حاجة تشربها قالتلي إن اليوم عدا عليها هي والبنات وهما مش لاقيين حاجة يضحكوا عليها، فجات تشوفني هرجع امتى لاحسن الشغل من غيري ملوش طعم.

ثم تابعت كلامها لتقول:

- وكانت ناوية تكمل تسميم بدني بالكلام لولا إن أمي زينب رجعت فقالتلها إنها لازم تمشي وراحت مسلمة علينا

وخرجت لحالها.

تعجب أمير من قسوة معاملة تلك الفتاة لجناين، وقد شعر بالشفقة عليها لما كانت تعانيه في حياتها اليوميّة ممن كانوا حولها، وعاد كامل ليكمل استجوابه لها، قائلًا:

- وفيه حد تاني جه زاركم بعدها؟

فأجابته في هدوء لتكمل:

- لا محدش، وبعد ما هي مشيت دخلت نمت لوش الصبح.

- جناين!

قالها كامل لها ثم صمت لثوانٍ وعلى وجهه ملامح الشك والريبة، ثم أكمل بعدها، قائلًا:

- مين اللي كان معاكي جوه قبل ما نيجي؟ أنا سمعت حد بيتكلم معاكي.

ارتبكت جناين من سؤاله وظلت صامتة فسارع كامل بسؤالها مجددًا في غضب:

- قوليلي مين اللي كان بيكلمك وازاي خرج من غير ما أشوفه؟!

- اللي بيكلمني مخرجش هو لسة موجود جوة.

Screenshot saved

نظر الاثنان سريعًا إلى باب الزريبة بعد الجملة التي قالتها جناين ثم التفت كامل مجددًا نحوها ليسألها:

- فين هو؟ وازايي لسة موجود وأنا مش شايفه؟!

نظرت جناين له بهدوء لتجيبه، قائلة:

- اللي كان بيكلمني هو الجدي اللي جوة.

نظر كلا من أمير وكامل لجناين في ذهول، فسألها أمير سريعًا بنبرة يملؤها التوتر، قائلًا:

- جدي إيه ومعزة إيه؟ احنا مش فاهمين حاجة!

نظرت جناين إلى باب الزريبة هي الأخرى، وقالت:

- أنا يومها لما كنت عيانة ودخلت نمت، صحيت بعدها وحسيت إني بقيت كويسة فقمت في الفجرية أرجع لبيتي أشقر على الزريبة اللي حيلتي، أكِّلت الفراخ ونضفتلهم العشة، ورحت أجيب شوية برسيم للجدي والمعزة، ولما رجعت وأول ما حطيت البرسيم قدامهم لقيت الجدي بيكلمني وبيقولي إزبك يا جناين.

- ومخفتيش؟

قالها كامل متعجبًا من الموقف الذي حكته، فابتسمت له جناين وهي تجيبه:

- مخفتش؟! دا أنا وقعت على الأرض وقعدت أصوت!

ثم تابعت قائلة:

- بس هو طمني إنه مش جاي هنا عشان يأذيني.

- أمال جاي عايز منك إيه؟!

ابتسمت جناين مجددًا، وهي تقول:

- هو مش عايز مني حاجة، كل اللي قالهولي إنه عايز يتكلم معايا ونبقى صحاب، ومن ساعتها وهو مبيبطلش رغي وكلام لحد ما صدعني.

تعجب أمير من سذاجة جناين في الرد، فسألها وهو يحاول استيعاب ما حكته لهما، قائلًا:

- وانتي بتتصرفي كده ازاي كأنها حاجة عادية؟

فنظرت إليه وهي تقول في حزن:

- أنا مبتصرفش إنها حاجة عادية، محدش هيصدقني لو قولتله على اللي حصل، الكل بيعتبرني شؤم ومحدش يهمه أمري ولا اللي بيحصلي حتى لو مت.

وفجأة ووسط حديث جناين معهم، قاطعهم صوت صرير باب الزريبة وهو يتحرك ببطء، فنظر الجميع نحو باب الزريبة من ورائهم ليروا الجدي وقد خرج من الباب ليقف بجانبه في هدوء، كان الجدي ضخم الحجم، رمادي اللون، أثقل رأسه قرنان كبيران معقوفان للوراء، ذا عينين تبرزان للخارج قليلًا وهي تحدق نحوهم بجمود.

ظل كامل وأمير يحدقان في الجدي من خلفهم، بينما كان الجدي يحدق بهما هو الآخر فمرت لحظات قليلة من

تحديقهم نحوه حتى التفت كامل سريعًا لجناين ليحدثها، قائلًا:

- أوعدك يا جناين إني هخلصك منه في أقرب وقت، قريب أوي كل حاجة هتتحل.

لم تنبس جناين بكلمة، بينما اكتفت بأن ابتسمت له ابتسامة بسيطة ثم همّت نحو الزريبة مرة أخرى، وهي تقول:

- عن إذنكم.. لازم أرجع الزريبة هأكل الفراخ عشان تلحق تنام.

تحركت جناين لتصل إلى باب الزريبة متخطية الجدي الواقف بجواره ودخلت لتكمل عملها، بينما لا زال الجدي واقفًا في مكانه لا يتحرك ينظر إلى كامل في صمت.

اقترب كامل برأسه من أمير، بينما كان كلٌّ منهما ينظر ناحيته ليهمس

له، قائلًا:

- هو أنا بيتهيألي ولا الجدي باصص عليّ أنا بالذات!

اقترب أمير برأسه قليلًا هو الآخر ناحية كامل ليجيبه في توتر:

- لا مش بيتهيألك.. هو فعلًا باصص عليك انت.

فأجابه كامل سريعًا وهو يهم للمغادرة، قائلًا:

- طب يالا بينا نرجع على الدوار.

* * * *

الفصل العاشر

"التحقيق"

سار الاثنان في طريق العوده للدوّار، وظلا يمشيان وهُمَا صامتان، كلٌّ منهما يجول في خاطره شيء ما، فكان كامل يفكر فيما سيحدث له لاحقًا، وهل سيستطيع حسان صرف الجن عنه، بينما كان أمير يفكر فيما يحدث من حوله، فالذي بدا له أنّه مجرد تحقيق بسيط قد اتضح أنّها لعنة كبيرة حلّت على أهل تلك القرية، ولم يمر وقت طويل حتى بادرت إلى ذهن أمير تساؤلات عدة كان يجب أنْ يعرفَ لها إجابة، فنظر إلى كامل الذي كان ينظر أمامه شاردًا ليسأله:

- انت ليه مقولتليش على الجن اللي صايبك لما جتلك أول يوم؟

التفت كامل اليه بوجهه ليرد عليه، قائلًا:

- مكنتش عايز أشيّلك همي، وقلت إن الأحسن إنك تعرف في الوقت المناسب، الوقت اللي هكون لقيت فيه الحل.

فسأله أمير مجدّدًا:

- طب ليه محكتش لحسان على الأذى اللي صاب بقية الناس؟

تنهد كامل قبل أن يجاوبه، قائلًا:

- حسان يا أمير غريب عن هنا وأنا مش هينفع أئتمنه على مشكلة حد قبل ما أتأكد بنفسي إنه يقدر يحلها، عشان كده ابتديت بنفسي.. ولو حل عني اللي صابني ساعتها بس هقوله على اللي حصل لبقية الناس.

صمت أمير لثوانٍ وهو ينظر على الطريق من أمامه، ثم التفت مجددًا لكامل ليسأله:

- طب تفتكر أهل القرية رد فعلهم هيكون إيه لما يعرفوا إن فيه حد جديد جه سكن مكان عيلة جناين وشغال شغلانتهم؟

فتكلم كامل وقد بدأ يتضايق من سيل الأسئلة التي انهمر بها أمير عليه ليجيبه، قائلًا:

- دا الناس هنا نفسها حد يجي من زمان عشان تلجأ له في الأعمال والقرف ده، ولما يفك الأذى اللي حل علينا هيكون ذاع صيته في القرية كلها ومش هيلاحق على طلبات أهل البلد منه.

ثم سكت لثوانٍ وهو ينظر أمامه قبل أن يهمهم، قائلًا:

- بس هو يُصدُق بس.

فعاد أمير مجددًا ليسأله:

- طب انت هتقوله على الجدي الملبوس اللي ملازم جناين؟

أخذ كامل نفسًا عميقًا قبل أن يطلقه محدّثًا أمير وقد فاض به الكيل، قائلًا:

- لا يا أمير.. أنا مش هحكيله على أي حاجة قبل ما أشوف هو هيعمل إيه في مشكلتي.. خلاص؟

نظر أمير له بحرج بعد أن أدرك أن روح المحقق الصحفي قد تملكته، وأنّه انهال بالأسئلة عليه دون أن يراعي ما هو فيه من همٍّ، فسارع بوضع يده على كتفه ليمازحه، قائلًا:

- آدي نتيجة إنك تاخد صحفي معاك في مشوار.

ابتسم كامل لما قاله أمير، وسأله وهو يبتسم، قائلًا:

- انت ليه صحيح مبتطلعش القلم والورقة وتقعد كل شوية تكتب زي ما بنشوف في الأفلام؟

رد عليه أمير ضاحكًا وهو يشير بيده نحو رأسه، قائلًا:

- متقلقش كله بيتسجل هنا.

ضحك كامل من هذا الرد، ثم نظر أمامه ليجد أنهما قاربا على الوصول إلى الدوار، فأشار كامل برأسه للأمام ناحية الدوّار، وهو يقول:

- الظاهر إن التحقيق اللي انت عملته معايا جرى الوقت.. احنا وصلنا خلاص.

فتابعا المشي قليلًا فوجدا محروسًا ينتظرهم عند البوابة وقد رآهما هو الآخر فذهب نحوهما بخطى مسرعة، وما إن وصل إليهما حتى سأله كامل متلهفًا:

- عملت إيه؟

فأجابه محروس:

- كله تمام يا كامل بيه، حسان هيستناكم عند الأرض الفاضية يمة الترعة الشماليّة الساعة اتناشر بالليل.

- طب انت فهمت اللي هو عايزه؟

أومأ محروس برأسه، قائلًا:

- متقلقش يا كامل بيه، أنتم هتروحوا على هناك وأنا وحسان هنكون مستنينكم، أنا لازم أمشي أحضر كام حاجة.. عن إذنك يا بيه.

انتهى محروس من كلامه ثم جرى مسرعًا ليعود للدوار، بينما ظل كامل يراقبه في هدوء فسمع أمير وهو يحدثه، قائلًا:

- ههه.. أكيد طلب منه ديل سحلية خلفتها كلها دكورة ورمش راجل قتل مراته.

قالها أمير مازحًا، ولكن كامل نظر إليه في غضب فتوقف عن الضحك سريعًا، ف\قد شعر من نظرة كامل له أنّ هذا ليس وقت المزاح، وأنّ كامل يكفيه ما هو فيه من توتر، ثم أكمل الاثنان خطاهما ليدخلا الدوار لينتظرا الساعات القادمة التي تفصلهما عن موعدهما المرتقب مع حسان.

* * * *

الفصل الحادي عشر
"ظُليل"

الساعة الآن الثانية عشرة إلا ربع، توجه الحنطور إلى الأرض الفضاء الفسيحة المتفق عليها حسب الموعد؛ ليصلا إلى حسان الذي كان ينتظرهم ممسكًا بمصباح يشع منه الضوء، فرآه نعيم وتحرك بالحنطور نحوه ليصل إليه ويتوقف، فنزل كامل وأمير منه ليقفا أمام حسان الذي التفت في اتجاه الأرض الفضاء وسار ببطء ليتبعاه بدورهم، فتوقف فجأة عن المشي ثم أشار بيده للأمام موجهًا كلامه إلى كامل، قائلًا:

- خليك ماشي طوالي لحد ما أقولك أقف.

- بس الدنيا ضلمة وأنا مش شايف قدامي.

قالها كامل في توتر واضح وهو يمد يده ناحية المصباح الذي يمسكه حسان أملًا في أن يعطيه إياه إلا أنّ حسان أبعد يده الممسكة بالمصباح بعيدًا عن يد كامل، قائلًا له:

- متقلقش.. كمل مشي لحد ما أقولك.

أشاح كامل بنظره عن حسان وسار للأمام وقلبه يكاد يقف من الخوف، فهو لا يعرف ما الذي يحدث ولا يستطيع حتى رؤية أيّ شيء من حوله، فحتى ضوء القمر في تلك الليلة لم يكن كافيًا ليرى بضعة أمتار أمامه، ولكنّه استطاع

بصعوبة أن يتبيّن وجود أعمدةٍ وسط الأرض كاد بالفعل أن يتخطى أحدهما منذ لحظات قليلة.. وحينها صاح حسان بأعلى صوت، قائلًا:

- أوقف مكانك ومتتحركش.

تسمّر كامل في مكانه بعد سماعه لتلك الكلمات، وارتعش جسده ارتعاشًا بسيطًا، لم يستطع معرفة سبب تلك الرعشة.. فهل كانت بسبب برودة الجو من حوله؟ أم أنها بسبب خوفه مما سيحدث لاحقًا؟ وهنا رفع حسان يده لأعلى مناديًا بصوت عال:

- محروووس.

في تلك اللحظة تعالى صوت ضجيج عالٍ ليسطع بعده بلحظات نور شديد للغاية في المكان جعل كامل يضع يديه على عينيه من قوة الضوء وحاول بصعوبة أن يفتح عينيه محاولًا فهم ما يحدث حتى استطاع تبين الأمر من حوله وقد تراءت الصورة له كاملة، كان هناك أربعة كشافات موضوعة على أعمدة طويلة كل كشاف منهم موجه للأسفل قليلًا، وكل عمودين منهم موضوعان في اتجاه بعضهما ليمثل كل عمود منهم اتجاهًا من اتجاهات البَوْصَلة الأربعة (الشمال والجنوب والشرق والغرب).

كان كامل يقف متوسطًا الأعمدة الأربعة، فنظر من حوله على الأعمدة محاولًا فهم ما يحدث ليجد بجانب أحد

العمدان محروس وهو ممسك بسلك كهرباء في يده وبجانبه مولد كهرباء، فعرف كامل حينها أنه هو من أنار تلك الكشافات بناء على أمر من حسان.

بعد أن سطع الضوء من الكشافات التي بالأعمدة، ظهر في المنتصف أربعة ظلال طويلة له منعكسة من الكشافات التي حوله فكانت ظلاله الأربعة ظاهرة كأربعة عقارب لساعة واحدة كل عقرب يتجه في اتجاه مختلف.

كان كامل واقفًا كما طلب منه حسان مترقبًا ما يحدث، كان يقف بلا حراك وظلاله هي الأخرى بلا حراك، فاقترب حسان من المكان وتوقف بعيدًا عن ظلال كامل الأربعة وتبعه أمير هو الآخر، فنظر كامل إلى أمير بنظرات يائسة ثم نظر إلى حسان ليجده ناظرًا في اتجاه محروس فنظر هو الآخر سريعًا إلى مكان محروس فوجده يجري مبتعدًا عن المكان ليعود مصطحبًا معه ما لم يتوقعه..

مرت لحظات حتى ظهر محروس من بعيد ومعه حمار ثم توقف بعيد عن ظلال كامل الملقاة على الأرض منتظرًا أوامر حسان له، وهنا تقدم حسان إلى الضوء، ولكنّه وقف بعيد عن ظلال كامل، وكان ظاهرًا من جلبابه أنه يضع في جيبه شيئًا ما ثم نظر إلى محروس الذي كان ينظر إليه في ترقب منتظرًا إشارته، فأشار برأسه له ليبدأ، وبمجرد أن أعطاه الإشارة حتى بدأ محروس في السير مصطحبًا الحمار بالقرب من أول ظِل لكامل على الأرض ليسوق الحمار

ليعبر فوقه، وما كان من الحمار إلا أن أطاع محروس في هدوء ومشى فوق ظِل كامل الأول. فتوقف محروس بعدها لينظر إلى حسان فأومأ برأسه له مرة أخرى ليكمل ما اتفقا عليه.

بدأ كامل بالالتفات حوله لينظر إلى بقية الظِلال في الأرض، ولكنه سمع صوت حسان صائحًا عليه في غضب:

- قلتلك متتحركش.

أكمل محروس سحب الحمار تجاه الظِل الثاني وبالفعل مرّ الحمار عليه هو الآخر في سلام، وظل أمير يشاهد الموقف بتركيز بينما كان حسان صامتًا يراقب ما يحدث في ترقب تام، وبدأ محروس مجددًا في السير نحو الظِل الثالث الظاهر لكامل على الأرض وهنا تغير الموقف على عكس ما حدث من قبل، فبمجرد أن تقدم محروس بالحمار مقتربًا نحو الظِل الثالث بخطوات قليلة حتى توقف الحمار في مكانه، فحاول محروس سحب الحمار من السرج ليدفعه للتقدم نحو الظِل إلا أنّ الحمار ظلَّ ثابتًا في مكانه فحاول محروس مرة أخرى سحبه للأمام بشدة فما كان من الحمار إلا أن بدأ بالنهيق وهو يرجع بحوافره للخلف مبتعدًا عن الظِل رافضًا المرور عليه أو الاقتراب منه أكثر من ذلك، فنظر الجميع إلى الظِل الثالث الذي لم يكن مختلفًا في شيء عن صاحبه، ولكن على الرغم من تقليد هذا الظِل لحركة كامل إلا أن الجميع كانوا يشعرون بالفعل أن هناك شيئًا مختلفًا به، فقد كانوا

يشعرون وكأن هذا الظِل هو طيف أو جسد منفصل ملقى على الأرض يحاول جاهدًا تقليد حركة كامل من أمامه، وهنا اقترب حسان من خلف الظِل ببطء شديد حتى وصل إلى مقدمه رأسه ومد يده في جيب جلبابه ليخرج أجنة وشاكوشًا خشبيين ثم نزل على الأرض سريعًا ليضع الأجنة على رأس الظِل ويطرق الشاكوش عليها بكل ما أوتي من قوة.

عوييل رهيب تنقبض له القلوب يُسمع من باطن الأرض بينما تلوى الظِل بقوة وهو يمسك برأسه ويصرخ في ألم، حاول الظِل التملص من مكانه أو التحرك بعيدًا ليهرب إلا أن الأجَنة المثبتة في رأسه على الأرض كانت تمنعه من ذلك، فظل حسان يطرق على الأجَنة بقوة صائحًا:

- ارحل يا ظُليل يا خائن العهد.. ارحل يا ظُليل من حيث ما جئت.

ظَل الظِل يتلوى من الألم ممسكًا برأسه بينما صوت الصراخ ينبعث من الأرض من تحتهم وهو يحاول إبعاد نفسه عن الأجنة، ولكن دون جدوى، ومن هول الموقف تحرك كامل من مكانه من الخوف ليبتعد عن ظله المتلوي على الأرض وهنا انبثق من ظِلّه ظِلّ آخر.. ظِل طبيعي له غير الظِل المتلوي على الأرض.. فظلّ حسان يطرق على الأجنة بكل قوة مكررًا كلماته بينما كان الظِل يصرخ وهو يتلوى في الأرض حتى بدأ الظِل في الاشتعال والاحتراق ليصدر نيرانًا كثيفة فوق سطح الأرض كادت أن تؤذي حسان من قسوة

لفحاتها لولا أنه تحامل على نفسه ليكمل ما كان يفعله فبدأ العويل والصراخ يهدآن وتهدأ معهما النيران المشتعلة رويدًا رويدًا حتى انتهى الصراخ وتلاشت النيران من فوق الأرض تاركة آثار ظِلال محترقة على هيئة رجل.

كان كامل واقفًا وسط الأرض الفضاء ينظر أمامه وهو مصدوم، فقد توقف عقله عن محاولة فهم ما حدث للتو أو استيعاب ما كان يراه أمامه، فاقترب أمير منه بهدوء ليمسكه من كتفه ويقوده نحو الحنطور ليتحرك الجميع مبتعدين عن هذا المكان.

سار الحنطور على الطريق مره أخرى للعودة إلى الدوار، وكان محروس يجلس في الأمام بجوار نعيم بعد أن ربط الحمار في مؤخرة العربة بينما كان الثلاثة جالسين بداخل العربة في صمت، دقائق كثيرة مضت على هذا الموقف الأخير، لم يتحدث أحد منهم منذ ذلك الحين، الكل صعد إلى العربة في صمت منتظرين وصولهم إلى الدوار، الكل يحاول أن ينسى ما حدث هناك..

توقف الحنطور عند سور الدوار فنزل محروس سريعًا منه ليصطحب الحمار عائدًا به إلى الإسطبل بينما نزل الثلاثة في هدوء من العربة، وتحرّك كامل بهوانة نحو باب الدوار بينما تبعه الآخران، ففتح الباب في هدوء ودخل منه وهو شارد الذهن ولم ينتبه حتى إلى أن يدعو حسان وأمير إلى الداخل ولكنهما تبعاه على أيّة حال حتى وصل الجميع

إلى غرفة الضيوف ليجدوا والده العمدة جالسًا هناك في انتظارهم، كان الرجل جالسًا على الأريكة متكئًا على عصاه في صمت ينتظر عوده ابنه وعلى وجهه علامات القلق مصحوبة بغضب شديد، وبمجرد أن دخل كامل حتى ارتمى في حضن والده كطفل صغير، فاحتضنه أبوه ثم أرجع وجهه للخلف وأمسك بكتفي كامل بقوة، قائلًا:

- انت ليه ما قولتليش يابني على اللي كان صايبك؟

- مرضتش أخضك عليّ يأبا، الحمد لله الموضوع عدى على خير.

قالها كامل وعيناه مغرورقة بالدموع بينما رفع العمدة وجهه للأعلى لينظر إلى حسان وأمير مبتسمًا وهو يقول:

- أهلا بضيوفنا.. اتفضلوا واقفين ليه!

قالها العمدة وهو يشير لهما بعصاه ليجلسا، فبدأ الجميع بالجلوس ثم نظر كامل إلى والده، قائلًا:

- أنا معرفتكش بيهم صحيح.. ده أمير وده حسا..

- حسان المغاوري.

قاطعه والده بكل ثقة فنظر كامل إلى والده باستغراب فهو لم يحكِ له عن أي شيء، حيث إنّه لم يرد أن يثقل كاهله بتلك الأمور، كان ينتظر أن يخبره بكل ما يحدث بعد أن ينهي معاناة أهل القرية ليجعل أباه فخورًا به، ولكن يبدو أنّ

والده كان يعرف كل شيء بالفعل.

دخل محروس الغرفة ممسكًا بصينية بها أربعة أكواب من الشاي وكوبان من الماء وبدأ يمشي ناحية الطاولة حتى وصل إليها ووضعهم عليها في هدوء، وهنا خبط العمدة بعصاه ركبة ابنه قائلًا وهو يبتسم:

- أنت فاكرني ياض عجزت وبقيت مُغيب عن اللي بيحصل حواليا، أنا لسه العمدة ولسه ليّ عنين وودان في كل حتة.

- العفو يا والدي.

قالها كامل وهو ينظر إلى محروس بغضب، فمحروس هو الشخص الذي يرعى والده في مرضه ويبدو أنّ عمله لم يقتصر على ذلك فقط فلا زال يعمل كعيني وأذني والده أيضًا.

لاحظ محروس نظرات كامل الغاضبة إليه بعد الجملة الأخيرة التي قالها العمدة له فأكمل وضع الأكواب على الطاولة في عجالة ثم عاد بخطى مسرعة من حيث أتى.

ظلّ كامل ينظر إلى محروس في غضب حتى خرج من الغرفة فقاطع والده نظراته إليه، قائلًا:

- ها.. احكيلي إيه اللي حصل لما روحتوا.

حكى كامل لوالده ما حدث هناك وكيف استطاع حسان إخراج الجن الساكن في ظِلاله، وأشاد به معبّرًا عن أنها

بداية مبشرة للجميع وأنه سيبدأ بمعاونة أمير وحسان في حل ما يحدث لبقية الأشخاص الذين يعانون من أذى الجن لهم.

كان العمدة يستمع لكلام ولده وهو متكئ على عصاه في هدوء حتى انتهى من حديثه، ثم نظر إلى حسان في غضب ليسأله:

- أنا عايز أعرف مين اللي سلط الجن ده على ابني عشان يإذيه.

فأجابه حسان في هدوء:

- محدش يا حاج سلط حد على ابنك، الجن اللي صاب كامل اختاره بإرادته ومحدش طلب منه إنه يإذيه.

كانت تلك الجملة بمثابة صاعقة نزلت على الجميع لتصيبهم بالذهول، فنظر الجميع إلى حسان لا يفهمون ما قاله، فشعر حسان أنه قد حان الوقت ليشرح للجميع حقيقة ما يحدث في شِمياطِس.

* * * *

الفصل الثاني عشر

"كتاب الكهانة"

مدّ حسان يده ليأخذ كوب ماء ليشرب منه ملاحظًا ترقب الجميع له ليبدأ الحديث، فشرب منه ثم وضعه مجددًا على الطاولة وبدأ في شرح ما يجهله الجميع، قائلًا:

- النهارده الصبح لما كامل وأمير جولي، وشرحلي كامل اللي حصله عرفت إن الجن اللي صايبه ده جن قوي مش سهل إن حد يستدعيه ويسخره، وبعد ما مشيوا دخلت في خلوة مع نفسي أستشير اللي بيعاونوني في شغلي.

قاطعه أمير باستغراب ليسأله:

- هم مين دول اللي بيعاونوك! احنا مشفناش حد معاك لما جينا.

نظر إليه حسان بإستنكار فالتفت أمير إلى كامل ووالده ليجدهما الآخرين ينظران إليه متعجبين من سذاجة سؤاله أو بالأحرى غبائه في فهم ما كان يشير إليه حسان في كلامه فأدرك سريعًا أنّ حسان يقصد بكلامه الجن الذي يسخرهم

لخدمته فنظر في حرج نحو الأرض، فتوجه العمدة لحسان بالكلام:

- كمل يا حسان احنا معاك.

تنهد حسان وهو ينظر إلى أمير ثم عاد ليكمل ما كان يقول:

- ما بين عالم الجن وعالم الإنس فيه ستار محطوط بينهم، حاجز الجن من إنهم يجوا لعالم الإنس، ميعرفش حد من الجن يعديه.. لكن الجن يقدر يجي لعالمنا لو حد من الإنس استدعاه وده بيبقى عن طريق عمل، والعمل ده بيكون استدعاء ليه بيربط وجوده عندنا بطلب اللي استدعاه وبيرحل الجن لما ينفذ الطلب اللي جاي عشانه أو بيرحل لو العمل اللي رابطه هنا اتفك وبفككان العمل بينتهي الطلب والسبب اللي جاي عشانه، واللي بيعاونوني دورهم إنهم يعرفوني مين اللي استدعى الجن لهنا وفين مكان العمل اللي رابطه بعالمنا، وأنا ساعتها بدور على العمل وأفكه والجن بيتحل من خدمته وبيرحل، ولكن بعد ما استشرت اللي بيخدموني عرفت منهم إن الجن اللي ساكن ضِل كامل مجاش بناء على طلب أو أمر من حد من الإنس، وللأسف مقدرتش أعرف منهم أكتر من كده لسبب بسيط.

ثم أخذ نفسًا عميقًا ليكمل حديثه:

- لإن عالم الجن فيه قوانين ونواميس بتحكمهم، ولو حد خرج عنها ومنفذهاش بيتحرق، ومنها إن الجن مينفعش إنه يكون السبب في أذى يصيب جن تاني وعشان كده امتنعوا عن مساعدتي في حل اللي صايب كامل لأنهم عارفين إن عشان أقدر أساعد كامل كان لازم أحرق الجن اللي صايبه.

ثم تنهد في حسرة ليعود، قائلًا:

- والمشكلة الكبيرة إنهم بردو مش هيعرفوا يعاونوني في حل أي أذى صايب أهل البلد.

فتعجب كامل مما قاله حسان ليسأله عن سبب ذلك، فعاد ليجيبه، قائلًا:

- لإن ببساطة الجن اللي صايب الناس اللي في بلدكم جم هنا من غير ما حد يستدعيهم أو يسلطهم على حد.

مال أمير بجسده للأمام وهو ينظر إلى حسان متحيّرًا مما سمعه ليسأله:

- أمال انت عرفت مين الجن وازاي تخلص منه ازاي؟!

اعتدل حسان في جلسته موجهًا كلامه للجميع وهو يبتسم في ثقة ويقول:

- من كتاب الكهانة.

صمت حسان للحظات ليجد الجميع ينظرون إليه باهتمام منتظرين أن يكمل كلامه فاستطرد، قائلًا:

- في زمن سيدنا سليمان كان الجن بيحضروا لعالمنا بناء على طلبه وتنفيذ أوامره وبعد موت سيدنا سليمان الإنس لقيوا إن فيه عشاير من الجن بيقدروا يعدوا الستار اللي حاجز ما بينا وما بينهم، ويحضروا لعالمنا وقت ما يعوزوا وبدون استدعاء من حد من الإنس، ومع مرور الوقت قدر

الإنس إنهم يعرفوا مين عشاير الجن اللي بتقدر تعدي الستار ده ويعرفوا أسباب مجيهم لعندنا وازاي يصرفوهم عنا، وجمعوا كل المعلومات اللي عرفوها في كتاب اتسمى بكتاب الكهانة، والكتاب ده وقتها اتعمل منه خمسة وخمسين نسخة بس.

توجه العمدة لحسان بالكلام ليسأله في فضول:

- والكتاب ده معاك؟

فابتسم حسان بكل ثقة وهو يجيبه:

- جد جدي كان شغال خادم عند شيخ جليل، كان مشهور بفكه وصرفه للجن عن الناس، ومع الوقت اكتشف جدي إن الشيخ ده معاه نسخة من "كتاب الكهانة" وقدر يسرقه منه ويهرب بيه.. وساعتها هرب لبلاد بعيدة وبدأ شغله الخاص بيه هو، ومن ساعتها والكتاب ده مع عيلتي بنتوارثه أبًّا عن جد.

فقال أمير له مازحًا:

- وطبعا اتوارثتوا الشغلانة أبًّا عن جد بردو.

فأجابه حسان وهو يضحك:

- هههههه.. عليك نور.

ولكن ارتسمت سريعًا ملامح الجدية على وجهه وهو يتابع:

- بس دي كانت أول مرة أستخدم الكلام المكتوب في الكتاب في إني أصرف الجن عن الإنس.

وعاد للنظر إلى الجميع مرة أخرى ليكمل شرحه للموضوع، قائلًا:

- الكتاب كان بيحكي عن أقوى عشاير في عالم الجان، العشاير دي هي الوحيدة اللي كانت تقدر تيجي لعندنا وكل عشيرة منهم كان ليها قدرة تقدر تعملها وتنفذها في عالمنا، وكان الإنس بيسموا كل عشيرة على حسب اسم أول جن جه منها لعالمنا.

ثم توجه بنظره لكامل وهو يقول:

- والجن اللي صابك يا كامل كان جن من عشيرة ظُليل، وجن العشيرة دي بيقدر إنه يحضر لعندنا ويسكن في ضِل حد من الإنس ويعيش جواه، ويتحرك زيه وكمان يقدر إنه يأثر على حركه الإنس ده بتحريك ضِله، لكن ما يقدرش يحركه علطول يقدر بس يحركه حركة بسيطة، حركة كافية بإنها تنهي حياته لو حب.

فتكلم أمير وهو ينظر إلى كامل مصدقًا على ما سمعه من حسان، قائلًا:

- زي ما كان بيكعبلك أو بيهز إيدك وانت بتحلق.

فأكمل حسان الكلام وهو يومئ برأسه، قائلًا:

- بالظبط كده، ولو الإنس كان ظاهرله كذا ضل يقدر الجن يسكن فيهم ويتنقل ما بينهم وممكن كمان يتنقل لضل حد تاني لو كان ضله قريب لضل الإنس اللي صايبه.

ثم تنهد حسان وهو يرجع بجسده للوراء ليسنده على ظهر الكرسي:

- عشان كده لما كنت انت وأمير عندي مكنتش عايز إنه يعرف إيه اللي هيحصله لإنه كان معاك جوة ضلك وسامع وشايف كل حاجة.. وفي الأرض الفاضية لما ظهرلك كذا ضل، عرفت إن الجن كان مرعوب وخايف يتحرك لاحسن نكشفه وفضل ثابت في مكانه وفي حركته، وخاف إنه يتنقل لضل محروس ويصيبه ويهرب جواه لأننا كنا هنكشفه فقرر إنه يفضل ثابت في مكانه ومستخبي في ضلالك وافتكر إننا مش هنعرف هو فين.

نظر إليه العمدة وهو في حيرة من أمره ليسأله:

- طب وهو حضر عندنا ليه؟ واشمعنى ابني؟

فحدثه حسان وهو لا يعرف إجابة السؤال الذي طرحه العمدة عليه ليجيبه:

- كتاب الكهانة مكتوب فيه كذا سبب كانت عشاير الجن بتحضر فيه لعالم الإنس، وأنا معرفش هو جه لأنهي سبب منهم ولا ليه صاب ابنك بالذات.

أطبق الصمت على المكان بعدما أصابهم كلام حسان بخيبة الأمل والحيرة، فحاول أمير معرفة ما سيقدمان عليه بعد ذلك فمال إلى الأمام ليلتقط كوب الشاي وهو يقول:

- طب وإيه الخطوة اللي جاية؟

نظر إليه كامل ليجيبه في حماس:

- احنا بكرة هنعدي على بيت الحاج عبد القادر، وهنقعد معاه هو وبنته عشان تحكيلنا على اللي صابها.

أومأ حسان برأسه موافقًا على ما قاله كامل ثم وقف من مكانه وهو يقول:

- تمام يبقى نتقابل بكرة، أنا لازم أقوم أروّح.. الوقت عدى نص الليل.

فقام أمير هو الآخر، قائلًا:

- وأنا كمان لازم أمشي عشان هموت وأنام.

ثم أكمل وهو يضحك:

- أنا خايف إن من التعب انام في الصاله وملحقش اوصل الأوضة.

ابتسم كامل لهما ثم نادى بأعلى صوته:

- محروووس.

أتى محروس مهرولًا من الخارج ثم وقف في توتر منتظرًا

أوامر كامل له فحدثه، قائلًا:

- شوف نعيم برة ولو نام صحية وخليه يوصل ضيوفنا لبيوتهم.

رفع أمير يده عاليًا ليقاطعه إلا أنه أكمل كلامه في إصرار لمحروس، قائلًا:

- الوقت اتأخر ومش هيلاقوا حاجه توصلهم.. روحله بسرعة.

ابتسم أمير له وهمّ بالقيام من مكانه وهو يمزح ويقول:

- طب تمام، هنلحق احنا محروس لحسن يروح ينام جنب نعيم ولا حاجة.

نهض الجميع من جلستهم، وقام العمدة بعناء من جلسته، فلاحظ كامل ذلك فأسرع في معاونته على النهوض، فقام العمدة مستندًا عليه، قائلًا لهما:

- نورتونا الشوية دول.. وبكرة لو رجعتوا منصورين بإذن الله لازم تيجوا كلكم تحكولي على اللي حصل.

ثم خبط بيده كتف ابنه ليمازحه، قائلًا:

- أنا لسه العمدة بردو.

ابتسم كامل لوالده ثم ربط على كتفه بحنان وهو يقول:

- انت الخير والبركة كلها يابا.

خرج كامل ليصطحبهما إلى الخارج مودّعًا إياهما بعد أن صعدا إلى الحنطور ليذهبا إلى مساكنهما.

وداخل دوار العمدة صعد كامل بوالده السلالم التي تؤدي للدور الثاني حيث توجد غرفهم، ليدخله غرفته ثم عاد هو الآخر إلى غرفته وأضاء النور ليجلس على مكتبه ويفتح الدرج ليخرج منه مذكراته، ثم يكتب وهو يتثائب:

"اليوم لن أكتب شيئًا، فأنا لا أريد أن أتذكر ما حدث فيه، كل ما أريد تذكره هو أنه اليوم الأول لي منذ وقت طويل الذي سأذهب فيه للنوم دون أن ألتفت إلى جانبي، سأذهب إلى النوم بنفسٍ مطمئنة وبالٍ هانئ.. مودّعًا من كان معي منذ وقت طويل"..

أغلق كامل بعدها مذكراته، ثم غّير ملابسه وصعد على سريره في هدوء ليغط في نومٍ عميق اشتاق له منذ فترة طويلة وقد كان يظن أنه لن يحظى به مرة أخرى.

* * * *

الفصل الثالث عشر

"شهوة جن"

أتى صباح يوم جديد، ومثلما حدث في اليوم السابق استيقظ أمير بسبب ضوء الشمس الساطع الآتي من الجزء المكسور في النافذة والذي ينتج عند تعامد أشعة الشمس في الساعة العاشرة مع الجزء المكسور من النافذة ليسطع الضوء على وجه أمير، فنهض في تكاسل مردداً في غضب:

- حسان بيوضب البيت كل شويه.. يابن الـ...

قام من سريره ثم ذهب إلى الحوض ليغسل وجهه وارتدى ملابسه وخرج من غرفته وقد قرر الذهاب إلى دوار العمدة سيرًا على الأقدام، فقد كان يريد الاستمتاع بدفء الشمس والهواء النقي، لم يعرف أمير سبب ميله الشديد لأجواء القرية وأناسها فقد كان يشعر وهو في القرية بهدوء وسلام نفسي كبير، فظل يمشي في طريقه متأمّلًا ما حوله من الحقول الخضراء حتى وصل إلى سور الدوار والذي كان واقفًا أمامه أحد الغفر،

وباقتراب أمير منه ابتسم له محيّيًا إياه:

- صباح الخير يا بيه.

أومأ أمير رأسه بابتسامة وهو يقول:

- صباح النور.

دخل أمير من السور ليجد كامل جالسًا في الخارج على كرسي يطالع صحيفة ويمسك بكوب شاي باللبن يشرب منه في هدوء، كان كامل جالسًا بظهره في اتجاه أمير لا يدري قدومه ناحيته، فاقترب أمير منه ببطء شديد حتى لا يلاحظ وجوده ثم قفز فجأة أمامه صائحًا بصوت عال:

- صباح الخير.

انتفض كامل من مكانه مفزوعًا واهتزت يده فسكب ما في الكوب على الأرض، فنظر بغضب على الأرض ثم التفت إلى أمير ليجد على وجهه ملامح الحرج الشديد لما تسبب به، ولكن تبدلت سريعًا ملامحه ليبتسم لأمير ممازحًا إياه وهو يقول:

- أنا هشرب شاي بلبن تاني.. تشرب معايا؟

ضحك أمير لكامل وهو يهز رأسه نافيًا ويجيبه:

- ههه.. لا أنا مبحبوش، هاتلي معاك شاي بس.

قام كامل من كرسيه لينادي على محروس، ولكن قبل أن يفتح كامل فمه وضع أمير يده على كتفه، قائلًا:

- استنى انت.. يا محروووس.

فتحَ محروس باب الدوار وذهب سريعًا ناحيتهم فخاطبه أمير ليقول:

- واحد شاي عادي والتاني بلبن.. بسرعة.

ضحك الاثنان لما فعله أمير فنظر إلى كامل ممازحًا إياه وهو يقول:

- دوار طويل عريض ومفيهوش غير واحد بس يخدمكم؟! أومال عمدة إيه بس!

فرد عليه كامل وهو يضحك:

- يا عم احنا بلد غلبانة وعمدتها أغلب منها، انت أكيد تقصد عُمد البلاد الكبيرة مش احنا.

فسأله أمير وهو يعدل نظارته على وجهه، قائلًا:

- هنشرب الشاي ونتحرك؟

فأجابه كامل:

- لا المرة دي أنا بعت نعيم يجيب حسان لهنا، هناخده ونروح لبيت الحاج عبد القادر.. هو جنبنا هنا مش بعيد.

ذهب محروس ملبيًّا طلب أمير وعاد سريعًا لهم بما طلبوه، وانقضى بعض الوقت وهم ينتظرون قدوم حسان حتى سمعوا من بعيد صوت الحنطور وهو يقترب من الدوار فتحركا إلى الخارج لِيَرَيَا نعيم يقود إليهما حتى وصل عندهما ليوقف عربة الحنطور أمامهما، فخرج حسان بجسده من الداخل مبتسمًا لهم وهو يقول:

- مش هتركبوا ولا إيه؟

صعد الاثنان للعربة وتحرك الحنطور مرة أخرى على الطريق في اتجاه بيت الحاج عبد القادر حتى وصل إليه، فتوقف أمام البيت بأمتار قليلة لينزل الثلاثة منه ويتقدمهم كامل، فاقترب أمير من خلفه، قائلًا:

- هو الراجل عارف إنّنا جاينله؟

فأجابه كامل:

- متخفش.. أنا بعتله محروس أول ما النهار طلع وبلغه بمجينا وهو مستنينا.

وبعد خطوات قليلة وصل الجميع إلى أمام باب البيت، فطرق كامل الباب ثم انتظر لثواني ليفتح لهم من الداخل شاب نحيل لا يتجاوز العشرينات من عمره، تأملهم الشاب لثواني ثم فتح الباب على آخره ليشير لهم بيده إلى الداخل وهو يقول:

- اتفضلوا أبويا مستنيكم.

دخل الجميع في هدوء ليتبعوا الشاب الذي قادهم بدوره إلى غرفة في الداخل لينتظروا بها، فجلس الثلاثة بجوار بعضهم على أريكة خشبية فحدثهم الشاب، قائلًا:

- ثواني هنادي أبويا.

ثم همّ الشاب بالخروج من الغرفة، وكان أمير قد لاحظ على

الشاب منذ أن رآه أن وجهه عابث ممتلئ بالحنق والضيق فمال ناحية كامل ليسأله بصوت خافت:

- مين ده؟ وماله عامل كده ليه؟

اقترب كامل هو الآخر منه برأسه ليجيبه:

- ده عماد ابن الحاج عبد القادر، وباللي بيحصل لأخته كويس أوي إنه عارف يقف على رجليه.

قاطع كلامهم دخول الحاج عبد القادر وابنه عماد إلى الغرفه فاعتدل الاثنان سريعًا في جلستهم، كان الحاج عبد القادر رجلًا طاعنًا في السن يشوب شعره البياض وقد أحنى ظهره الكبر فتقدم ناحيتهم في هدوء حتى جلس على أريكة أخرى أمامهم ثم جلس ابنه على كرسي بجوار الأريكة، فنظر الرجل إلى كامل، قائلًا:

- نورتنا يا بن الغالي انت وضيوفك.

فرد عليه كامل وهو يقول:

- كتر خيرك يا حاج، أنا جايلك بكل خير إن شاء الله.

ثم أشار بيده ناحية حسان وهو يقول:

- أنا جبتلك معايا حسان المغاوري والراجل ده هو اللي حل عني اللي صابني وبإذن الله هيفك الأذى اللي صايب بنتك.

أومأ الحاج عبد القادر برأسه لحسان محييًا إياه فابتسم له

حسان، ثم وضع كامل يده على كتف أمير مبتسمًا ليكمل:

- وده أمير صاحبي، هو صحفي وبيعاوني في...

وقف الرجل من مجلسه فجأة وهو يقاطع كامل في غضب:

- صحفي؟ بيكتب في الجرانين يعني!

فقام عماد هو الآخر وهو يقول في استنكار:

- انت عايز اللي بيحصل لأختي الناس كلها تعرفه؟ عايز تفضحنا!

تسمر كامل من هجوم الرجل وابنه عليه فقام أمير من جلسته سريعًا ليقف أمامهما، قائلًا:

- يا جماعة أنا مش جاي أفضح حد، أنا كنت جاي أحقق في قضية جناين نفسها ووعدت كامل إني مش هجيب سيرة أو اسم حد من اللي طالهم الأذى، أنا جاي هنا وعارف كويس عادات وتقاليد أهل البلد ولازم أحترمها، أنا جاي مع كامل كصديق مش كصحفي، وبعاونه في مساعدته لأهل بلده اللي بيحبهم وبيقدرهم وعايز فعلًا يساعدهم.

نظر كامل إلى أمير معجبًا بطريقته في تولي زمام الحديث ومحاولة تهدئته للرجل وابنه خاصة وأنه لاحظ أن قد بدأت ملامح وجهيهما تهدأ عن ذي قبل بعدما استمعوا لما قاله أمير لهم.

عاد الرجل وابنه للجلوس مرة أخرى، ولكن ما زالت

ملامحهما عابسة قليلًا فعاد كامل ليتابع ما قاله:

- يا حاج أنا فعلًا عمري ما هتسبب في أذية أو فضيحة لأهل بلدي، أنا جاي ومتأكد إننا هنعرف نحل عن بنتك الجن اللي صايبها.

ساد الصمت المكان للحظات وقد بدأت الأجواء تهدأ، فبدأ حسان بتوجيه الكلام إلى الحاج عبد القادر، قائلًا:

- أنا عايزك يا حاج تحكيلي إيه اللي حصل لبنتك بالظبط من الأول.

تنهد الرجل وهو ينظر إلى حسان في صمت لثوان ثم التفت ناحية ابنه ليحدثه، قائلًا:

- نادي على أختك من جوة.

قام عماد سريعًا ليخرج من الغرفة ثم عاد بعد دقائق معدودة وخلفه أخته..

فاتن كان اسمها ووصفها أيضا فلقد كانت جميلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كانت ناصعة البياض كالثلج، عيناها بنيتين وذات قوام ممشوق يلفت نظر كل من يراه.

أتت الفتاة من خلف أخيها لتمشي داخل الغرفة في هدوء وتجلس بجوار أبيها على الأريكة الصغيرة، فنظر إليها والدها ونظرات الحزن والمرارة تملأ وجهه ليقول لها:

- احكي يا بنتي لكامل على اللي بيحصلك من اليوم اللي

زرتي فيه جناين.

نظرت الفتاة إلى والدها بحرج وعيناها تملؤها الحزن ثم التفتت إلى كامل لتقول له:

- أنا يومها رحت على شغلي في الغيط، وكانت جناين يومها مجتش تشتغل معانا فبعد ما خلصت شغل رحتلها أطمن عليها..

- الكلام ده مش صحيح يا حاج.

قاطع أمير كلامها في غضب ليكمل هو الحديث وهو ينظر إلى الرجل، قائلًا:

- احنا رحنا لجناين امبارح وعرفنا منها إن بنتك راحتلها البيت تسمم بدنها بكلمتين، بنتك يا حاج كانت كل يوم في شغلها مع جناين تتريق عليها وتضايقها وعمرها ما كانت صاحبة ليها.

نظر الرجل إلى ابنته وقد أشعل كلام أمير الغضب بداخله، فقد شعر أن ما هم فيه الآن لربما يكون عاقبة ما فعلته ابنته مع جناين، فبدا عليه أنه سوف يقدم على فعل متهور كأن يضربها أو يسبها فالتفتت إليه في حرج لا تدري ما تقول وهي تكاد تبكي من الخوف من والدها، ولكن تدخل كامل في الحديث سريعًا فهو لا تشغله علاقتها بجناين، بل كان كل همه أن يعرف ما حدث لها لاحقًا ذلك اليوم فسألها:

- احكيلنا إيه اللي حصل بعد ما رجعتي من عندها.

كان سؤال كامل بمثابة حبل إنقاذ لها ليخرجها من مأزق تبرير سبب ذهابها لجناين ومضايقتها فردت عليه لتقول:

- بعد ما مشيت من عندها رجعت على البيت مهدودة ودخلت أوضتي، يومها أول ما دخلت حسيت إن في حد موجود معايا في المكان وإني مش لوحدي مع إن الأوضة كانت فاضية ولكن الإحساس ده كان ملازمني من أول ما دخلت، بس أنا مخدتش في بالي ورميت جتتي على السرير ورحت في النوم، وفجأة صحيت لما حسيت إن حد ماسِك رجلي، فقمت مفزوعة ببص حواليا ملقتش حد فرجعت غمضت عينيّ بس مكنتش عارفه أنام، كنت حاسة إن فيه حد واقف جنبي وقبل ما عيني تغفل تاني حسيت بحد بيمسك رجلي تاني فقمت مفزوعة أصوت، أبويا جه يجري وولع النور لقاني بعيط حكتله اللي حصل فنادى على أخويا وقلبنا الأوضة ملقناش حد، عماد ساعتها جري ناحية الشباك ليكون حد فتحه ودخل منه لكن لقيناه مقفول من جوة.

ثم تابعت كلامها في توتر ملحوظ للجميع وهي تقول:

واليوم اللي بعديه دخلت أنام في أوضتي ووأنا بتقلب في السرير حسيت بالمرتبة وهي بتتهز براحة زي ما يكون حد كان نايم في السرير جنبي وبيتقلب وسكت.. بعدها بشوية

حسيت بأن حد اتحرك ونزل من السرير، وبعد فترة حسيت بأن الجو سقع فاتغطيت بملاية ورحت في النوم، وأنا نايمة حسيت بالملاية وهي بتتسحب لفوق ورجلي بتتعرى فجريت من الأوضة بسرعة ورحت جنب أبويا نمت واتغطيت، فضلت صاحية من الخوف لكن عيني غفلت غصب عني بعدها بشوية صحيت وملقتش الملاية فوقيا، بمد إيدي حواليا ملقتهاش، قمت مديت إيدي جنب السرير يمكن تكون وقعت من عليا وأنا بتقلب بس بردو ملقتهاش، فقمت ولعت النور عشان أشوفها فين، وساعتها لقيت الملاية في نص الأوضة متعلقة في الهوا وكأن فيه حد واقف ماسكها وأول ما النور ولع الملاية اتسابت ووقعت على الأرض.

قالت فاتن الجملة الأخيرة وعيناها مليئة بالدموع فنظر أبوها إليها بحسرة ثم أكمل هو الكلام ليقول:

- ساعتها قمت مفزوع على صويتها خدتها في حضني، وفضلنا طول الليل أنا وأخوها معاها صاحيين منمناش، حلفنا منسبهاش ولا لحظة من ساعتها.

صمت الجميع للحظات ارتسم فيها على وجه كامل وأمير الدهشة مما سمعوه من الرجل وابنته، بينما كان حسان شارد الذهن يفكر ثم نظر إلى فاتن بعد ذلك ليسألها:

- طب هو كان بيلمس رجليكي بس ولا كان بيقربلك أكتر من كده؟

اعتدل عماد نحو حسان وهو ينظر إليه بحدة وقد أثار كلامه لأخته الغضب والحفيظة بداخله، ولكنه أمسك أعصابه وظل صامتًا، فأومأت فاتن برأسها لحسان في حرج لتجيبه:

- لا رجليا بس، منين ما أنام لازم أحس بحد بيحسس على رجلي.

حدثها أمير متعجبًا مما قالته:

- حتى وانتي نايمة جنب أبوكي؟

حينها صاح والدها في حسرة وهو ينظر للأعلى من حوله كأنه يكلم ما لا يراه، قائلًا:

- عشان هو خسيس معندوش دم.

وحينها دفنت فاتن وجهها في صدر والدها وهي تضغط بيدها على يده كأنها ترجوه أن يتوقف عن الكلام، فطبطب والدها عليها في حنان وهو يتكلم ونغصة المرارة في حلقه، قائلًا:

- أنا خايف يجي عليه يوم ويتمادى في عمايله.. ساعتها مش هعرف أعيش على وش الدنيا ولو يوم واحد بعدها.

وفجأه قام عماد من جلسته سريعًا ليقف وقد احمر وجهه من شدة الغضب، قائلًا:

- أنا خارج يابا.

فنظر والده إليه في استغراب ليسأله:

- رايح فين؟

فأجابه:

- رايح على القهوة هقابل محمود.

ثم همّ بالخروج من الغرفة والغضب يعتريه فنادى عليه والده، قائلًا:

- طب والضيوف؟

فأجابه من بعيد وهو يفتح بالباب، قائلًا:

- ابقى ضايفهم انت.

رطم عماد الباب من خلفه بقوة، فأغمض والده عينيه في حسرة ثم نظر إلى كامل وهو يقول:

- عماد ابني اتغير من ساعتها، بقى علطول عصبي مبيستحملش كلمة من حد.. بس أنا عاذره وحاسس باللي هو فيه.

فحدثه أمير في هدوء:

- طبيعي يا حاج اللي ابنك فيه، إحساسه بالعجز في إنه يحمي أخته وقلة حيلته لازم تعمل فيه كده وأكتر.

التفت الرجل برأسه ناحية الباب في أسى وهو يكمل، قائلًا:

- حتى محمود بيقولي إنه مبقاش مركز في الشغل زي الأول!

فسأله كامل مستفمهًا:

- محمود ابن الحاج مصطفى؟

أومأ الرجل برأسه موافقًا ليجيبه:

- آه محمود ابن عمه، هو وعماد عاملين السطح مخزن بيخزنوا فيه تقاوي وعلف وبيبيعوه لأصحاب الأراضي، ومحمود هو اللي بقى شايل الشغل كله وكل يوم يجي الصبح يفتح السطح وياخد العلف ويروح يبيعه.. واشتكالي إنه بقاله مدة شايل حِمل الشغل كله لوحده والدنيا بتخرب منه.

ثم عاد ليتكلم في حزن ويقول:

- أنا بدعي ربنا إن الغمة دي تنزاح عنِّنَا قبل ما الخراب يحل على البيت كله.

انتبه الرجل إلى أنّ الحديث قد سرقه ونسي أن يقدم لضيوفه ما يشربونه فقال سريعًا:

- لا مؤاخذة.. أنا نسيت أضايفكم، قومي يا فاتن هاتيلنا شاي نشربه.

قامت الفتاة بهدوء لتذهب إلى المطبخ، فالتفت كامل برأسه ناحية حسان ليسأله:

- إيه رأيك في الكلام اللي سمعته؟

نظر حسان إليه ثم همّ بالحديث للجميع ليشرح لهم ما يعرفه ويقول:

- الجن اللي صايب فاتن جن شهواني بيعشق الجسد، وعشق الجن للجسد زى عشق الإنس.. وزي ما فيه رجّالة عشقها بيروح أكتر لحتة في جسم الست زي ما فيه جن بيعشق في الجسم حاجة، حاجة بتشده ليها أكتر من غيرها وبتفضل في باله وبيرجعلها.

ثم وجه نظره للحاج عبد القادر وهو يكمل، قائلًا:

- وفي حالة بنتك الجن عشق رجلها وقدمها، بقم هما شهوته اللي شاغلة تركيزه عشان كده بيجي يزورها كل يوم.

أنهى حسان كلامه وسط دهشة من الجميع، فتكلم الحاج عبد القادر بحزن وقد اتسعت عيناه من صدمة ما قاله حسان له ليسأله:

- ولحد إمتى هتفضل الحال على كده؟ لحد ما أموت من الحسرة والعار؟

- متخافش يا حاج، اليوم ده مش هيعدي غير والجن حالل عن بنتك.

قالها حسان وهو يبتسم للحاج بثقة لتدخل فاتن عليهم الغرفة وهي تحمل الصينية وتضعها على الطاولة وتعود

للجلوس بجوار والدها الذي أشار إلى الصينية، قائلًا:

- اتفضلوا الشاي.

أخذ الجميع أكواب الشاي من الطاولة، وأخذ حسان كوبه وشرب منه رشفة ثم نظر إلى فاتن ووالدها، قائلًا لهم:

- أنا هقولكم احنا هنعمل إيه.

وضع حسان الكوب من يده على الطاولة مجددًا ثم التفت إلى كامل ليسأله:

- أنا لو كتبت معاك عقد ومضّيتك عليه يا كامل، مش لازم تنفذه؟

فرد عليه في استغراب:

- أكيد.

فسأله مجددًا:

- ولو منفذتهوش؟

فأجابه:

- هتسجن.

فعاد حسان حينها ليسند ظهره على الأريكة ليبتسم بثقة ويقول:

- يبقى هو ده اللي هنعمله.

نظر كامل وأمير لبعضهما باستغراب ومال الحاج عبد القادر إلى الأمام ناحية حسان، قائلًا في حيرة:

- أنا مش فاهم حاجة.

فاعتدل حسان ليشرح للجميع ما كان يقصده، قائلًا:

- الاتفاق بين الإنس بيبقى بعقد، لكن الاتفاق عند الجن بيكون عهد، عهد عليه تنفيذه وإلا هيتحرق، العهد ده مش بإمضى بتتكتب عليه، العهد ده بيلزم الجن بمجرد لمسه ليه.. عشان كده العمل اللي بيتعمل بيبقى جواه عهد مكتوب للجن وبيتكتب على حاجه تخص قَطَر حد، حاجة ملموسة وبلمس الجن ليها بتتحقق موافقته وبتلزمه بتنفيذها.

فقاطعه أمير ليفهم ما يقصده حسان وسأله: وإنت هتكتب عليه عهد بإيه؟

فأجابه حسان:

- أنا هكتب عليه عهد بأنه يرحل عن فاتن، عهد بأنه يرحل عن هنا وميرجعش لا لفاتن ولا لغيرها.

فعاود أمير سؤال حسان مجددًا:

- طب وهتخليه يلمسه ازاي؟

فأجابه قائلًا:

- بسيطة.. العهد اللي هيتكتب هيكون على رجليها، هستغل شهوته في لمس رجليها في إنه يلمس العهد المكتوب عليهم، هستغل عماه وقلة تركيزه وهيبقى عليه إنّه يرحل وإلا هيتحرق.

ثم نظر حسان إلى فاتن ليسألها:

- عندكم ورقة وقلم؟

أومأت الفتاة برأسها له ثم قامت مسرعة إلى الخارج لتعود ثانية وفي يدها ما طلبه منها، وأعطته إياهما فأخذهما منها وكتب:

أنهى حسان كتابة الكلمات ثم قام ليعطي الورقة للحاج عبد القادر وهو يقول له:

- الكلام ده تكتبه النهاردة على مشط رجلين بنتك وكعبها قبل ما تنام، وتروح فاتن تنام في أوضتها لوحدها.. ومهما حصل متتحركش من سريرها ولا تقوم.

نظرت الفتاة إلى والدها في خوف، بينما أمسك والدها الورقة لينظر على الكلام المكتوب بها في صمت لثوان ثم أطبق الورقة ووضعها في جيبه، قائلًا:

- على خيرة الله.

الفصل الرابع عشر

"ذهاب بلا عودة"

خرج الثلاثة من بيت الرجل ليركبوا الحنطور عائدين إلى دوار العمدة، فقد أصر كامل أن يقضوا اليوم بأكمله في ضيافته بالدوار، فلم يمانعا وعادا معه إلي الدوار منتظرين ما سيحدث لاحقا في اليوم.

انقضى اليوم وحلّ المساء وذهبت الفتاة إلى غرفتها في وقت نومها الذي اعتادت عليه، أطفأت نور الغرفة وصعدت على سريرها وغطت نفسها بالمُلاءة لتنام، ولكنّها لم تكن تنوي ادعاء النوم فهي بالفعل متعبة فقد كانت لا تنام منذ أيام إلا لساعات قليلة، فغطت في نوم عميق لما يقارب النصف ساعة.

حينها استيقظت الفتاة وهي تشعر بأن المُلاءة قد تحركت من عليها قليلًا، لم تفزع حينها أو تصرخ بل ظلت ثابتة في مكانها لا تتحرك وعيناها مغمضتان، فانسحبت الملاءة في بطء من عليها حتى سقطت على الأرض كاشفة قدميها.. كانت الفتاة مغمضة العينين، لكنّها تشعر بكل شيء، تشعر بوجوده، تشعر بهذا الكيان الخفي وهو يقترب منها حتى شعرت بيده تتحرك على قدميها.

لمسات شهوانيّة تتحسس قدميها أكثر فأكثر، فتلك المرة اختلفت عما سبقها فقد اعتاد في كل مرة أن يسرق بضع

لحظات منها وهو يتحسسها قبل أن تصرخ وتنهض لتهرب منه، ولكن تلك المرة أُعجب باستسلامها له فقد تركته يفعل ما يريده بها لتقوده إلى ما تريده هي فأخذ يسرح بلمساته على قدميها دون أن تتحرك فكانت الدموع تنزل من عينيها على وجهها في صمت وهي نائمة فوق السرير وقد اهتز جسدها قليلًا من شدة حركة يديه المثارتين على قدميها، فما كان من ذلك إلا أن زاده لوعة فظل يتحسسهما للأعلى وللأسفل في شهوة كما يشاء حتى شعرت بأن لمسته لقدميها قد توقفت فجأة!

لقد أدرك ما حدث فغضب..

غضب حين علم بما فعلته به، غضب حين علم بضرورة رحيله للأبد، ولكنّه قرر قبل أن يرحل أن ينتقم منها، فقد كان يعتبرها كعشيقته الغامضة التي يتسلل إليها ليلًا لتطفئ ناره، شعر بأنها غدرت به لتبعده عنها إلى الأبد، فعليه أن يرحل في ثوانٍ معدودة وإلا احترق، فقرر أن تكون تلك الثواني جحيمًا لها.

وجدت فاتن نفسها تُسحب سريعًا من قدميها لتسقط على الأرض بقوة، فتأوهت الفتاة من قوة السقطة لتقوم سريعًا وتحاول الهرب، حاولت أن تصرخ، ولكن احتبس صوتها داخل حلقها من شدة الخوف، وقبل أن تصل إلى الباب لتهرب وجدت نفسها تُسحب من شعرها بقوة إلى الخلف لترتطم بالحائط وتسقط على الأرض!

صفعات سريعة دوت على وجهها، بدأت تشعر بالدوار من كثرة اللطمات وقوتها وأحست بأنّها سوف تغيب عن الوعي في اللحظات القادمة، فاستجمعت آخر ما فيها من قوة لتصرخ بأعلى صوتها.. فتح الحاج عبد القادر وولده الباب سريعًا على صراخ ابنته ليجدها ملقاة على الأرض بجانب الحائط ووجهها يتحرك يمينًا ويسارًا بقوة كأنّ أحدًا يصفعها على وجهها، فجرى الرجل سريعًا وارتمى فوق ابنته ليحميها بجسده، وأغمض عينيه خوفًا وهو يحتضنها بقوة منتظرًا أن يناله بطش ذلك الجن الغاضب، ولكن مرّت لحظات بعد ذلك في صمت وهدوء ففتح والدها عينيه في توجس وهو ينظر حوله فلم يجد سوى ابنه عند الباب واقفًا في مكانه ينظر إليه والصدمة على وجهه، لقد انتهى كلُّ شيء.. لقد رحل!

جاءت الساعة الحادية عشرة داخل دوار العمدة وكان الثلاثة يجلسون في غرفة الضيافة مع العمدة يتسامرون، كان حسان يخبرهم عن أطرف طلب طُلب منه يومًا، فقد كان يحكي لهم عن زوجة رجل أتت إليه لتطلب منه أن يراها زوجها قبيحة لكي يكف عن الاقتراب منها، فقد كان يلاقيها في اليوم أربعة مرات على الأقل، ففعل حسان ما طلبته منه الزوجة، وبعد ثلاثة أيام عادت إليه تبكي أن العمل الذي أعطاه لها بلا جدوى فقد أصبح زوجها يلاقيها أكثر من قبل، وحين سألته عن السبب أوضح لها بأنّه أصبح

يراها الآن مثيرة أكثر من ذي قبل.

وبينما كان الجميع يضحك على ما قاله حسان، أتى محروس من الخارج مسرعًا ليقف أمامهم والسعادة على وجهه، فنظر إليه العمدة ليسأله:

- خير يا محروس؟

فأجابه محروس:

- أنا كنت واقف برة لقيت عماد ابن الحاج عبد القادر جاي عليّ، وبلغني أقولكم إن كله تمام وإن الغُمة انزاحت عنهم.

ابتسم الجميع وهم ينظرون إلى بعضهم البعض، ثم قال كامل لحسان مهنئًا إياه:

- عفارم عليك يا حسان والله.

ابتسم حسان له وهو يجيبه:

- الحمد لله.. أدينا خلصنا من التاني.. هانت.

- شفلنا شربات يا محروس نشربه بقى.

قالها العمدة لمحروس وهو يبتسم في سعادة، فخرج محروس من الغرفة ليذهب ليعد لهم ما طلبه العمدة منه، فتكلم أمير موجهًا كلامه للجميع:

- احنا لسه برده محتاجين نعرف إيه علاقة جناين باللي بيحصل للناس ده.

ثم أكمل وهو يضحك، قائلًا لهم:

- ساعدوني يا جماعة.. التحقيق بيبوظ.

هنا نظر العمدة إليه وقد بدر إلى ذهنه تساؤل ما فبادره بالسؤال، قائلًا:

- مقلتليش يا أمير، إنت عرفت موضوع جناين ده ازاي وإنت في اسكندرية، مين اللي قالك عليه؟

نظر الجميع إلى أمير منتظرين إجابته، فبالفعل لم يكن أحد يعلم كيف عرف أمير بقصة جناين منذ البداية.

نظر أمير إلى العمدة بعد هذا السؤال ليجده هو والآخرين ينظرون له والفضول يعتريهم لمعرفة الإجابة، فتكلم ليشرح للجميع ما يريدون فهمه، قائلًا:

- أنا يا حاج شغلي بيتطلب المرواح والمجي كتير على الجرنال، وبقيت عارف كل أفراد الأمن اللي شغالين هناك صبح وليل، وفي يوم خرجت من الجرنال بالليل متأخر وقعدت مع راجل اسمه غنيم، كان شغال حارس أمن في الوردية الليلية وكان لسه جاي جديد، سلمت عليه وكنت ماشي بس هو حلف لأشرب معاه كوباية شاي ساعتها، فوافقت وقعدت معاه شوية والكلام خدنا وحكيتله إني لسه صحفي بالقطعة، وإن نفسي ألقى تحقيق أو سبق صحفي يساعدنى في مشواري المهني، فحكالي إنه كان عايش عندكم في القرية وإن واحد صاحبه هو اللي جابله الشغلانة

ديه، وحكالي عن قصة جناين وقالي إنها هتبقى فرصة كويسة إنى آجي هنا وأكتب تحقيق عنها، وإنها هتبقى فتحة خير عليّ، واداني عنوان الحاجة زينب عشان أروحلها وأعرف منها الموضوع.

ثم عاد ليتابع ما يقول وهو ينظر للجميع في سعادة:

- وبالفعل جيت لهنا، وبتمنى إن ربنا يكرمني وأرجع بسبق صحفي أقدمه للجرنال.

كان العمدة ينظر إليه طوال وقت حديثه وعلامات الاستفهام تملؤ وجهه، وحين انتهى أمير من كلامه عاد العمدة ليسأله مجددًا:

- مين غنيم ده يا أمير؟ شكله إيه؟

هزّ أمير كتفه، قائلًا:

- معرفش.. شكله عادي يعني، راجل كبير في السن مليان وقصير شوية وشعره أبيض.

فسأله العمدة مرة أخرى:

- طب ما تفتكرش اسمه غنيم إيه؟

فنظر أمير أمامه في شرود للحظات محاولًا تذكر اسم الرجل، ثم عاد ليجيب قائلًا:

- أظن غنيم العطار تقريبًا.

نظر العمدة إلى أمير في دهشة، بينما نهض كامل فجأة ليقف من مكانه وينظر لأمير في ذهول وهو يحدّثه، قائلًا:

- غنيم العطار؟ إنت متأكد؟

فتح أمير فمه عاجزًا عن الكلام وهو ينظر إلى الجميع من حوله لا يدري ما الخطأ فيما قاله، فكرر كامل سؤاله لأمير ثانية، ولكن بنبرة أعلى، قائلًا:

- قول لي يا أمير.. إنت متأكد؟

- استنى بس يا كامل.

قالها العمدة وهو يشير بيده لابنه ليهدأ، ثم التفت برأسه ناحية باب الغرفة مناديًا:

- محروس، تعال بسرعة.

أتى محروس سريعًا من الخارج ليقف أمام العمده منتظرًا أوامره فحدثه العمدة، قائلًا:

- تاخد نعيم وتطلع جري على بيت أحمد غنيم، تجيب منه أي صورة لأبوه وتيجي جري.. بسرعة.

أومأ محروس برأسه له ثم انطلق خارج الغرفة.

- في إيه يا جماعة؟ ماتفهموني!

قالها أمير وهو يلتفت بجسده إلى كامل، فعاد كامل للجلوس بينما كان ينظر أمامه وعلامات الذهول على وجهه

وهو يحدثه في شرود، قائلًا:

- دلوقتي هنعرف.

انقضى بعض الوقت والجميع صامتون، كان أمير يشعر وقتها بأنّه فعل شيئًا خاطئًا لا يعرفه وينتظر عاقبته، حتى سمع الجميع باب الدوار يُفتح ويُغلق سريعًا، ليلتفت العمدة إلى مدخل الغرفة ليجد محروسًا قادمًا من الخارج مهرولًا في عجالة من أمره وهو يحمل في يده صورة في إطار ذهبي قديم وأعطاها له، فأمسك العمدة بالصورة ونظر إليها للحظات ثم عدلها ليظهرها لأمير ليسأله، قائلًا:

- هو ده الراجل اللي إنت شفته؟

تمعن أمير في الصورة التي بداخل الإطار، كانت صورة قديمة متهالكة بالأبيض والأسود لرجل كبير في السن، أشيب الشعر يرتدي جلبابًا أسود وعمامة بيضاء، فأجابه باستغراب وهو يقول:

- أيوه هو.

نظر العمدة إلى كامل في صمت، بينما حدق كامل في وجه والده وقد اتسعت عيناه رعبًا، قائلًا:

- طب ازاي؟!

- فيه إيه يا كامل؟! ما تفهمني.

قالها أمير وهو ينظر لكامل في عصبيّة، فمد العمدة يده

بهدوء ناحية محروس ليعطيها له مرة أخرى ثم اعتدل لأمير ليجيبه، قائلًا:

- غنيم العطار مات من أربع سنين.

نظر أمير إلى العمدة في ذهول، وهو يقول:

- مات من أربع سنين ازاي؟ أنا كنت لسه متكلم معاه!

ثم التفت إلى كامل ممسكًا بيده كأنه يرجوه أن يصدق كلامه ليقول:

- صدقني يا كامل.. أنا كنت لسه شايفه من قريب!

- النسّاخ.

التفت الجميع إلى حسان بعد أن قال تلك الكلمة وهو ينظر إلى الأرض في شرود، فحدثه كامل وهو لا يفهم ما يقول ليسأله:

- النسّاخ!! قصدك إيه بالنسّاخ؟

رفع حسان عينيه من على الأرض لينظر إلى كامل وهو يجيبه:

- النسّاخ ده اسم عشيرة من الجن كانت مذكورة في كتاب الكهانة، العشيرة دي بتظهر على هيئة حد من الإنس، بتاخد شكل وهيئة حد مات من زمان واندفن.

ثم عاد ليتابع ما يقول:

- بس اللي مات ده لازم ميكونش مات في سلام، لازم يكون حد نازع الموت واتعذب قبل مماته.

نظر العمدة لحسان لثوان وكأنه يستوعب ما قاله لهم، ثم عاد موجهًا كلامه لأمير، قائلًا:

- من أربع سنين غنيم العطار كان شغال في الأرض، وعلى الضهرية حب يغفله شوية يرتاح فيهم ويرجع يكمل شغله، ساعتها كان فيه جرار راكن جنب الأرض، راح غنيم ينام عنده عشان يتضلل بضله وراح في النوم، بعدها بشوية جه صاحب الجرار ومكانش شايف غنيم وهو نايم الناحية التانية من الجرار، فطلع شغل الجرار واتحرك بيه، الجرار عدى على غنيم قبل ما يلحق يقوم ودهسه تحتيه وساعتها صاحب الجرار سمع صريخ غنيم من تحت الجرار فنزل بسرعة لقاه غرقان في دمه وبينازع الموت، وقبل ما يلحق يوديه على المستشفى كان مات.

نظر أمير أمامه وهو مذهول مما سمعه، بينما التفت كامل لحسان سريعًا وهو يسأله:

- طب هو راح لأمير ليه؟ وليه قاله على جناين؟

- معرفش.

قالها حسان وهو يهز رأسه في حيرة، بينما نظر أمير إلى كامل وهو يحدثه ليسأله:

- طب وهو عايز مني إيه؟

- السؤال ده مش هنعرف إجابته دلوقتي.. احنا داخلين على الفجر.. ارجعوا ارتاحوا وناموا وبكرة نكمل كلامنا.

قالها العمدة لأمير بنبرة هادئة، فقد كان يعلم في داخله أن ما قد سمعه لن يجد له إجابة الآن، فإجابته ستكون في يوم آخر.

قام حسان وأمير من جلستهما، وكان أمير يشعر بمرارة في داخله، فقد شعر أنه قد انغرز في قلب الأحداث، الأحداث التي كان يريد متابعتها.. لا أن يكون جزءًا منها.

خرج حسان وتبعه أمير للخارج ليجدا نعيم في إنتظارهما ليوصلهما إلى بيوتهما، وكانت تلك هي المرة الأولى التي لم يوصلهما كامل فيها إلى الخارج، فقد ظل جالسًا في مكانه منشغل البال، تجول في خاطره تساؤلات كثيرة، لماذا تواصل الجن مع أمير؟ ما الذي يريده منه ولماذا أتى به إلى هنا؟ والأهم من ذلك هو أنه قد بدأ يشكك في صدق كلام أمير وما يعرفه عنه.. وحينها أفاقه صوت والده وهو يقول له:

- قوم يا كامل وصلني لأوضتي والصباح رباح يابني.

أخرجت الجملة التي قالها له من شروده ليلتفت برأسه ناحية والده وهو يبتسم، ثم قام من جلسته ليستند عليه والده حتى أوصله إلى غرفته وانتظره حتى صعد إلى سريره، ثم خرج

عائدًا إلى غرفته لكي يكتب مذكراته مثلما اعتاد كل يوم، وحين انتهى من كتابتها عاد إلى سريره محاولًا أن يريح بدنه وعقله من تعب اليوم، فحاول جاهدًا مرارًا وتكرارًا أن ينام لكن دون جدوى حتى استطاع أخيرًا الذهاب في نوم عميق.

وبعد عدة ساعات استيقظ كامل من نومه على صوت عالٍ لثُغَاءِ ماعز، ففتح عينيه الغافلتين لينظر إلى النافذة بجواره فلم يجد سوى ضوء القمر يطل من بين ثناياتها، فأدرك أن الوقتَ لا يزال ليلًا فحاول النوم مجدّدًا، ولكن استرعى انتباهه سماع الصوت مرة أخرى، ولكن تلك المرة أدرك أنّ الصوتَ قادمٌ من داخل الدوّار وليس من الخارج، فركز بسمعه ليجد صوتًا آخر مصاحبًا للثُغَاءٍ وهو صوت خطوات ثقيلة على الأرض تقتحم سكون الليل وهي تصعد على السلالم الخشبيّة المؤدية إلى غرفته.

كان صوت الماعز ملازمًا لصوت الخطوات التي بدأت تقترب من غرفته أكثر فأكثر، فرفع كامل جسده للأعلى ليسند ظهره على ظهر سريره وهو يسترق السمع جيدًا، وظلت الخطوات تقترب أكثر حتى وصلت عند باب غرفته وتوقفت.. لحظات من الصمت المطبق تنقضي وكامل ينظر إلى الباب في خوف وترقّب لا يعرف من وراء الباب، وفجأة وجد أنّ مقبض الباب ينزل للأسفل في بطء ويفتح الباب كاشفًا من خلفه، فلاحظ كامل من خلال ضوء القمر البسيط المنبعث بالغرفة دخول شخصٌ ضخمُ الجثةِ ناحيته يرتدي

جلبابًا غامق اللون ويمسك في يده اليمنى شيئًا ما لم يستطع تبينه.

ومع تقدم هذا الشخص للأمام حاول كامل التمعن في وجهه أكثر، ففتح فمه من الرعب ليحاول الصراخ، ولكن احتبس صوته في حلقه من الخوف وهو يرى وجه الشخص الذي أمامه، كان وجه الشخص عبارة عن رأس لجدي قرونه كبيرة ومعقوفة للخلف، وكان رأسه كبيرًا بحجم رأس الإنسان، بينما كانت بقيّة جسده جسد رجل عاديّ يرتدي جلبابًا.

فاقترب هذا المسخ من كامل ببطء وهو يصدر صوت ثغاء عالٍ ثم توقف أمام سريره وهو يحدق به، كان كامل فاتحًا فمه عاجزًا عن الكلام بينما اغرورقت عينيه بالدموع من شدة الذعر وهو يرى الجدي الذي يرتدي الجلباب واقفًا أمامه، وفجأة أطاح الجدي بيده للأمام في الهواء ليقذف ما كان يمسكه في يده اليمنى منذ دخوله الغرفة ليسقط على السرير بجوار كامل.

إنّها رأس والده العمدة، انهار كامل وأخذ يصرخ في هيستيريا وهو يحدق بجانبه في وجه أبيه المقطوع ولسانه المتدلي من فمه وعينيه التي اقتلعت ليسيل من مكانهما الدماء على السرير من جواره، وهنا أمسك الجدي بيده جانب السرير ليدفع نفسه بقوة للأمام ليتخطى طرف السرير ويتجه سريعًا وهو يحني رأسه للأسفل نحو كامل ليصدمه بقرونه فوضع كامل يديه بسرعة أمام وجهه وهو يصرخ

عاليًا..

قام كامل سريعًا من نومه مفزوعًا ووجهه يتصبب عرقًا وأخذ يتلفت سريعًا من حوله في الغرفة، فوجد أنّ النهارَ قد أتى ولا يوجد أحد غيره في الغرفة فابتلع ريقه مدركًا أنّ كلّ ما مر به لم يكن أكثر من حلم أو بالأحرى كابوس، فمسح بيده العرق من على وجهه ونظر على يساره ناحية الكومود لينظر إلى المنبه القديم الموجود فوقه، ليجد أنّ الساعة قد جاوزت الثانية عشر ظهرًا، فتعجب كيف نام طوال تلك المدة ولماذا لم يأت له أمير حتى الآن على عكس ما اعتاد عليه منه، فقام ليغير ملابسه سريعًا وتوجه ليخرج من باب الدوار للحديقة بخطى مسرعة وهو يجاهد ليبقي عينيه مفتوحتين من أشعّة الشمس، حتى لمح أحد الغفر يقف أمام البوابة فناداه ليأتي إليه سريعًا، وحين سأله عن مجيء أمير اليوم أجابه أنّه لم يأتِ للدوار هذا الصباح، فنفخ كامل متأفّفًا وأسرع الخطى لينادي على نعيم ليذهبا إليه.

* * * *

الفصل الخامس عشر

"الشيخ رزق"

ما لم يكن يعرفه كامل هو أنّ أمير قد خرج منذ الصباح الباكر، فقد استيقظ أمير على ضوء الشمس كالعادة في حدود الساعة العاشرة صباحًا، وقام بتغيير ملابسه ليخرج من البيت وهو لا يعرف إلى أين هو ذاهب، كان يشعر بالحزن الشديد فقد وجد نفسه متورطًا في شيء ليس له ذنب فيه، فكل ما كان يريده هو الوصول إلى الحقيقة، ولكنّه وجد نفسه جزءا منها، جزءًا لا يعرف حلّه.

مشى لفترة طويلة على الطريق بجانب الأراضي الزراعيّة ليحاول صرف ذهنه عن التفكير، ظلّ يتأمل الناس وهي تعمل وسط الحقول في هدوء، وفجأة وبعد مضي الكثير من الوقت وهو يمشي بلا هدف وجد نفسه قرابة بضعة أمتار من أمام بيت جناين، لم يفهم ماذا حدث أو كيف جاء إلى هنا فقد كان شارد الذهن تاركًا قدميه تقودانه إلى حيث تريد، ولكنّه أدرك أنّ قدميه كانتا تقودانه لها دون أن يدري، ظلّ يحدق في بيتها في صمت للحظات بل لدقائق دون أن يشعر بمضي الوقت حتى وجد باب البيت يُفتح بهدوء لتخرج منه جناين وهي ممسكة بشلتة وتقفل الباب من ورائها لتبدأ بالتحرك، ولكنّها توقفت حين لمحت أمير يقف على بُعد بضعة أمتار منها، فنظرت إليه لثوانٍ متعجبة من رؤيته عند

بيتها ثم تحركت نحوه لتعرف سبب مجيئه لها وبمجرد أنْ وصلت إليه حتى كادت أن تتحدث لتعرف ماذا يريد، ولكنّه بادرها بالكلام وهو يبتسم ليقول لها:

- صباح الخير يا جناين؟

أطبقت جناين فمها لثوانٍ ثم ردت عليه مبتسمة:

- صباح النور يا أستاذ أمير، إيه اللي مصحيك بدري كده؟

رفع أمير يده اليسرى لينظر في ساعته ثم رد عليها ضاحكًا:

- بدري ازاي بس! دي الساعة حداشر ونص.

فردت عليه في هدوء: أصل أنا بسمع إن أهل البندر بيناموا متأخر وبيصحوا متأخر.

ضحك أمير من سذاجة ما قالته له فمازحها، قائلًا:

- ده على أساس إنّنا مبنشتغلش يعني؟ لا يا جناين.. احنا زينا زيكم بس الفرق إننا بنصحى بدري عشان مضطرين بس لكن لو علينا عايزين نكمل نوم للضهر.

- إنت جاي هنا ليه يا أستاذ أمير؟ محتاج مني حاجة؟

تسمر أمير من حدية كلام جناين المفاجئ له، ولكنه أجابها بهدوء:

- أبدًا مفيش.. أنا كنت بتمشى في البلد مش عارف أنا رايح فين لقيت رجلي جابتني على هنا.

نظرت إليه جناين في ريبة، فيبدو أنّ ظهوره المفاجئ أمام بيتها قد أثار الشك بداخلها وهذا هو ما أحس به أمير من ملامح وجهها فشعر بالحرج وحاول تغيير الموضوع فنظر سريعًا إلى الشلتة التي كانت تمسكها فوجد بها بضع بيضات وقطعة جبن فمازحها، قائلًا:

- إيه ده؟ إنتي بتفطري الصبح بكل ده؟!

توقع أمير من رد فعلها السابق على ما قال أن تعتبر جملته الأخيرة مزاحًا سخيفًا أو استهزاء بها، ولكن تلك المرة خاب توقعه فقد وجد في وجه جناين ابتسامة صغيرة تحولت بعدها إلى ضحك حاولت تخبئته فنظرت نحو الأرض في حياء ثم عادت لتبتسم مرة أخرى، قائلة:

- لا يا أستاذ أمير.. ده مش فطاري ده أنا بروح السوق أبيعهم واسترزق منهم.

فسألها أمير مستفهمًا:

- أنا عرفت من كامل إنّك بردو شغالة في جمع المحصول من الأرض، صح؟

تكلمت جناين بنبرة حزن لتجيبه:

- لا.. خلاص أنا من ساعة اللي حصل لأهل البلد ومحدش بقى عايز يقرب ناحيتي، آخر مرة رحت على الأرض أشتغل البنات اللي معانا لما عرفوا اللي حصل لفاتن بقم خايفين

مني ومردوش يشتغلوا في الأرض وأنا موجودة فسبت الشغل وبقيت ببيع البيض والجبنة في السوق.

ثم نظرت للأسفل نحو الشلتة التي تمسكها بيديها مُكملة حديثها:

- ويا ريت حد بيشتري منيّ!

تنهدت جناين بعد تلك الجملة فنظر إليها أمير، قائلًا:

- طب وإيه رأيك إني هشتريه كله.

نظرت إليه جناين في سعادة وكادت أن تتكلم لولا أن قاطعها سريعًا، قائلًا:

- أنا كنت عازم كامل على الفطار، وكنت بدور ناكل إيه وفرصة كويسة إنك مكنتيش بعتي الحاجة اللي معاكي.

صمتت جناين وهي تبتسم لا تدري ما تقول.. فما قاله لها أمير قد وفرّ عليها تعب يوم طويل شاق في السوق لا يُسفر عنه شيء، وإن أسفر فبالكاد سيكفيها هي ووالدتها حتى الغد، ولكنّها شعرت أنّ ما يفعله أمير معها الآن هو نوع من أنواع الشفقة عليها، فبدا على وجهها الغضب لولا أن شعر أمير بما يجول في خاطرها فسارع ليكمل كلامه:

- أنا فعلًا حابب أجرب البيض والجبنة مع العسل والفطير اللي بيعمله محروس في الدوار.

ثم أخرج محفظته سريعًا مكملًا كلامه:

- بس اوعي تحاسبيني بزيادة عشان أنا هفاصل، فقوليلي أقل سعر عشان مرحش لحد تاني.

ساهمت حكمة أمير في الكلام وسرعة رد فعله في تلاشي الشعور الذي بدأ يساورها بأنّه يشفق عليها، فابتسمت له، قائلة:

- خلاص اللي تجيبه.

أخرج أمير المال من محفظته وعدّ جزءًا منه وأعطاه لها، قائلًا:

- أنا هحاسبك بالسعر اللي بدفعه عندنا مش هدفع أغلى.

أعطت جناين الشلتة سريعًا لأمير من شدة سعادتها فأمسكها أمير منها ثم وضعت يدها في جيب جلبابها لتخرج كيسًا بلاستيكيًّا وتضع فيه البيض والجبنة بينما كان أمير ممسكًا لها الشلتة وهو يبتسم فقد كان يشعر بالسعادة لأنه استطاع رسم ابتسامة على وجه فتاة قلما عرفت معنى السعادة، أعطت جناين الكيس لأمير فأخذه منها ثم أعاد لها الشلتة فأخذتها سريعًا وهي تكاد تقفز من على الأرض فرحًا، ثم قالت له:

- عن إذنك يا أستاذ أمير.. هروح أقعد مع أمي زينب شوية، فوتّك بعافية.

أومأ أمير رأسه لها وهو يبتسم ويقول لها:

- اتفضلي.

تابعت جناين السير في الطريق بينما ظل أمير يراقبها وهي تمشي حتى اختفت بعيدًا ثم عاد ليكمل سيره في القرية، ومرّ وقت طويل وهو يمشي حتى استقر أمام ترعة صغيرة تروي بمائها أرض مزروعة حديثًا لم تطرح زرعًا، وبجانبها بهيمة صغيرة تلف بهدوء في ساقيتها، كان أمير ينظر إلى الأرض التي تدفقت المياه لتمر من جوانبها وهو يشعر بهدوء وسلام نفسي شديد.

كان يتأمل المنظر من أمامه كأنه أمام لوحة فنيّة تبعث على الهدوء والاسترخاء، فجلس على الأرض وفتح الكيس ليتناول بعض الجبن منه، مرت ساعات عدة وهو جالس على الأرض، فكان في أوقاتٍ يغمض عينيه ويملؤ صدره بالهواء ثم يطلقه مرة أخرى محاولًا الاسترخاء وهو يتأمل المكان من حوله، وفي أوقات أخرى كان يتأمل البهيمة الدائره في الساقية في هدوء ودون مبالاة، وحينها ابتسم داخل نفسه من سخرية القدر فقد تمنى نصف راحة البال والهدوء اللذيّن تنعم بهما البهيمة وهي تدور في ساقيتها لا يشغل بالها شيئًا أو تحمل همًا.

- إنت فين يا ابني من الصبح؟!

أفاقته تلك الجملة من شرود أفكاره لينظر خلفه ليجد كامل قادمًا إليه من بعيد، فأعاد نظره إلى الأمام ولم يرد على

سؤاله، فتوجه كامل نحوه ليقف بجواره فوجده ينظر إلى الأمام مشيحًا بنظره عنه، فبادره بالكلام، قائلًا:

- إنتَ عارف إني بدور عليك بقالي ساعات لحد ما رجلي ورمت!

رد عليه أمير باستهزاء وهو لا زال ناظرًا أمامه ليسأله:

- أمال فين نعيم؟

فأجابه كامل، قائلًا:

- أنا رحتلك على البيت وملقتكش، ودورت عليك مع نعيم في كل طرق البلد بس بعد كده قلتله يروح بالحنطور وأنا هروح أدور عليك جوة البلد لحد ما ألاقيك.

استمع أمير إلى رد كامل عليه بينما كان لا يزال ينظر أمامه دون أن يلتفت إليه، فجلس كامل بجواره على الأرض وحدثه بينما كان ينظر هو الآخر أمامه، قائلًا:

- متزعلش مني يا أمير، أنا مكنش قصدي إني أشك فيك.. ربنا وحده اللي يعلم مَعزِتك عندي قد إيه، أنا فعلًا مبقتش بعتبرك شخص غريب أنا بعتبرك صاحبي.

فرد عليه أمير ليقول:

- وإنت بردو يا كامل مَعزِتك عندي غالية أوي.

حينها التفت كامل بوجهه إليه ليحدثه مبتسمًا ويقول:

- يبقى حقك علياّ متزعلش مني.

فالتفت أمير بوجهه إليه هو الآخر وهو يجيبه مبتسمًا:

- خلاص مش زعلان.

قام كامل من جلسته سريعًا وفرد يده أمام أمير ليساعده على النهوض، قائلًا:

- يبقى يالا بينا نلحق نروح للشيخ رزق.

أمسك أمير يد كامل ونهض من جلسته وبدأ في تنظيف بنطاله من التراب وهو يقول:

- هو حسان مش جاي معانا ولا إيه؟

فأجابه كامل وهو ينظر للأسفل نحو بنطاله وينفض التراب عنه هو الآخر، قائلًا:

- أنا قابلت الشيخ رزق وأنا بدور عليك وقلتله إني هجيله معاك إنت وحسان، لكن هو رفض مجي حسان معانا فهنروحله لوحدنا.

ثم أشار بيده لأمير في اتجاه بيت الشيخ رزق، قائلًا:

- البيت مش بعيد من هنا.. تعال نتمشاها.

تحرك الاثنان نحو طريق البيت حتى وصلا إليه، وطرق كامل الباب فسمع من الداخل صوت أقدام تقترب من الداخل، ليفتح الشيخ رزق لهما الباب بابتسامة ترحيب، قائلًا:

- أهلا يا أستاذ كامل.. اتفضلوا.

دخل الاثنان إلى الداخل ليشير لهما بيده ليتبعاه فعبر بهما طُرْقَةَ بيته وهو يتقدمهما ليوصلهما إلى غرفة نومه، وبمجرد دخولهما إليها حتى وجدا قطة سوداء اللون تجلس على أريكة موضوعة أمام السرير وما إن رأتهما حتى انتفضت من مكانها ووقف شعر جسدها وأخذت تعوي ناحيتهما في غضب شديد فتسمرا في مكانهما دون أن يتحركا خطوة للأمام، وحينها سارع الشيخ رزق بحمل القطة من على الأريكة ليضعها فوق سريره بينما ظلت تنظر لهما وهي تموء في غضب، فتحرك الاثنان للداخل ليجلسا على الأريكة وهما ينظران نحوها في صمت لا يفهمان سبب تصرفها هذا.

جلس الشيخ رزق على السرير وأخذ يربت على رأس قطته في حنان لتهدأ، فتوقفت القطة عن موائها وبدأت تقرقر فابتسم الرجل وهو ينظر نحوها قائلًا:

- ما تأخذوش صباح يا جماعة.. هي مش متعودة تشوف حد غريب في البيت.

- لا ولا يهمك يا شيخ رزق.

قالها كامل وهو ينظر بتوتر نحو القطة التي أغمضت عينيها في سعادة مستمتعة بتربيت صاحبها على رأسها.

لم يكن تركيز أمير منصبًّا ناحية ما فعلته القطة عند قدومهما، بل كلّ ما كان يشغل باله هو فضوله في معرفة

لماذا اصطحبهما الشيخ رزق إلى غرفة نومه ليجلسا معه فيها بدلًا من أن يجلِسَهم في صالة البيت الموجودة بالخارج أو بمعنى أصح ما المميز في غرفة نومه ليقرر استقبال ضيوفه بها فأخذ في تفحص المكان من حوله بدقة..

كانت غرفه نوم الرجل تحتوي على سرير ناحية الركن الأيمن للغرفة بجوار المدخل وبجانبها الأريكة التي يجلسان عليها بينما كان هناك دولابًا كبيرًا في الركن الأيمن من مدخل الغرفة مواجهًا له وأبوابه مغطاة بمرآة كبيرة تستطيع رؤية الطرقة بوضوح في انعكاسها، فأفاق من تأمله للمكان على صوت كامل وقد تحدّث مع الرجل، قائلًا:

- احنا جايين وعايزينك تحكيلنا على اللي حصل معاك بالتفصيل من أول ما مشيت أنا وانت من بيت جناين.

بدأ الرجل حديثه بعد أن توقف عن مداعبة قطته التي كانت جالسة في جواره في هدوء ليقول:

- أنا لما خرجت معاك من بيتها وكل واحد راح في طريقه رجعت البيت وأنا مهموم.. كنت فاكر إن النهارده هو اليوم اللي هنفاتحها فيه عن جوازي منها.

وعاد ليكمل كلامه مبتسمًا وهو ينظر ناحية قطته، قائلًا:

- فرجعت البيت يومها لأنيسة وحدتي صباح.. واليوم مر من غير ما حاجة تحصل.

ثم رفع يده ليشير ناحية مرآة الدولاب:

- الموضوع ابتدى لما دخلت عشان أنام، وبعد شوية صحيت على صوت صباح وهي بتعوي جامد فطبطبت عليها ورجعت عشان أنام، لكن ساعتها عيني جات في المراية فلقيت في انعكاسها حد واقف في الطرقة وملامحه مش باينة، قمت فتحت الدولاب بسرعة أطلع الشومة وطلعت أجري أدور في الشقة عليه لكن ملقتش حد، فقفلت باب البيت كويس وأكدت على الشبابيك ودخلت أنام، يومها صباح مبطلتش عوي ومكنتش عارف أنام منها، ولكني صحيت وسط الليل وأنا حاسس إني عطشان، فقمت من السرير وكان جنبي إزازة كانت موجودة في الأوضة من يومين، كان موجود فيها شوية مايه معكرة فقلت أقوم عشان أروح المطبخ وأفضي الحبة اللي فيها واملاها بمايه جديدة.. وقفت عند الحوض عشان أفضي المايه من الإزازه لقيت جواها برص ميت فرميتها وقلت أمد إيدي أشرب من الحنفية علطول، وأول ما فتحت الحنفية لقيتها طفحت دود ميت في قلب الحوض.

فهز أمير كتفه في لا مبالاة ليقول له:

- يمكن مواسير المايه عندك محتاجة تتنضف.

ارتسمت ابتسامة سخرية على وجه الرجل وهو يجيبه:

- ما ده اللي جه في بالي ساعتها، المهم رجعت على

سريري ودخلت نمت وصحيت زي ما أنا متعود قبل الفجر عشان أقوم أتوضى وأقرأ قرآن، فقمت عشان أخش الحمام وأول ما ابتديت أفتح باب الحمام لمحت جوة واحد واقف عند الحوض موطي وبيشرب من الحنفية، ففتحت النور بسرعة عشان أشوفه بس ملقتوش، ساعتها عرفت إن فيه حد سكن البيت معايا، فاتوضيت وقعدت أقرأ قرآن ودعيت بأن ربنا يصرفه عني في الحال..

ثم تنهد قائلًا:

- لكنه بعدها بيوم ظهرلي تاني، كنت بلبس جلبيتي عشان أخرج أصلي العشاء لقيت صباح جات وقفت جنبي وفضلت تعوي جامد وهي باصة ناحية الطرقة، فمخدتش في بالي لكن وأنا بكمل لبسي قدام المراية لقيت في انعكاس المراية من ورايا حد خرج من الحمام اللي في الطرقة بص عليّ بسرعة ورجع تاني، جسمه كان أسود ومكنش باينله ملامح..

ومال الشيخ رزق بجسده للأمام ناحيتهما وهو ينظر إليهما بجدية مؤكدا على ما قاله:

- حد لونه أسود كأنه متفحم خرج بنص جسمه يبص عليّ ورجع جوة بسرعة.. ساعتها عقلي وجسمي اتشلوا من الخوف فشِلت صباح وطلعت أجري بيها برة البيت، ورحت بيها للجامع عشان ألحق الصلاة، الناس هناك كانت

مستغربة إني خدت قطة معايا الجامع بس محدش كان حاسس باللي أنا فيه، أنا كنت بصلي وأنا مرعوب وقعدت أدعي ربنا أنه يفك كربي، وفضلت في الجامع شوية لحد ما الجامع كان هيقفل ببانه، فخرجت بصباح ورجعت تاني على البيت، دخلت من الباب وجريت على أوضتي ونمت، ساعتها نمت علطول و بعدها بساعتين صحيت على صوت صباح وهي قاعدة جنبي على السرير وعمالة تعوي و تبخ، فقمت بسرعة عشان أشوف مالها، لقيت واحد قاعد على الكنبة قصادي وباصص ناحيتي.

ثم تابع كلامه، قائلًا:

أنا مكنتش شايف ملامحه ساعتها من الضلمة، بس جسمه كان كله أسود زي ما يكون إنسان محروق ومتفحم، فقمت مفزوع وفضلت باصص عليه لكنه فضل قاعد ومتحركش من مكانه، صرخت فيه وأنا مرعوب وسألته أنت مين؟ قالي إنه ضيف وجاي يقعد عندي هنا شوية، مفهمتش حاجة من كلامه فسألته أنت إنس ولا جن؟ رد عليّ تاني بنفس الكلمة.. ضيف، فطلبت منه إني أقوم أفتح النور عشان أشوفه وأعرف أتكلم معاه، لكنه جاوبنى بأني لو فتحت النور مش هستحمل إني أشوفه، ساعتها خفت وفضلت ساكت، فقالي إنه جاي يسكن عندي هنا لفترة كضيف لحد ما يخلص اللي جاي عشانه، بس كان عايز مني طلب.. قالي إنه عايز إني أبعد عن جناين وأصرف نظر عن جوازي

منها، وقالي إني لو نفذت طلبه مش هيئذيني ومش هحس حتى بوجوده معايا، وهددني بأن هو ممكن يحرمني من إني أشرب زي ما حصل معايا اليوم اللي فات وممكن كمان يحرمني من إني أشوف الأكل أو حتى أعرف أدوقه لحد ما أموت إما من العطش أو الجوع، فخفت ووافقت علطول وقلتله إنه طول وقت ضيافته عندي هنا هسيبله البيت كله ليه يتحرك فيه زي ما يحب ووقت ما يعوز بس يسيبلي الأوضة دي والحمام أبقى أخشه وقت ما أحتاج بس ميظهرليش تاني وهو وافق.

ثم صمت للحظة قبل أن يكمل:

- ومن ساعتها وأنا مبقعدش غير في أوضتي ومشفتوش تاني.

وعاد ليكمل صمته مجددًا وبدأ يربت على قطته في حنان.

أدرك أمير المغزى من اصطحاب الشيخ رزق لهما للجلوس في هذه الغرفة بالتحديد، فيبدو أنه يخشى أن يحدث له مكروه إذا أخلف اتفاقه مع هذا الجن، ونظر كامل إلى الشيخ رزق ليتوجه بالحديث إليه متعجبًا من رفضه لقدوم حسان معهم قائلًا:

- طب انت ليه رفضت إني آجي ومعايا حسان؟ أنا متأكد إنه يقدر يخلي الجن ده يرحل عن بيتك.

- لأ.

قالها الشيخ رزق لكامل في غضب وهو مقطب الحاجبين ليكمل:

- أنا مش هدَخّل بيتي بلطجي أبدًا.

فتكلم أمير سريعًا محاولًا إقناعه بمجيء حسان، قائلًا:

- بس ده مش بلطجي، ده...

فقاطعه الشيخ رزق سريعًا مبررًا وجهه نظره ليقول:

- هو مش دجال؟! والناس بتروح للدجالين ليه؟ مش عشان يحموهم من أذى حد أو عشان يئذوا حد؟ زيهم زي البلطجية بالظبط، وأنا مليش علاقة بالناس دي طول عمري ولا عايز يبقالي علاقة، أنا صابر على اللي أنا فيه لحد ما يتصلح الحال وتوكلي على الله وحده.

وهنا وبعد انتهائه من حديثه وقفت القطة الجالسة بجواره من مكانها فجأة وكأن شيئًا ما قد استرعى انتباهها، فالتفتت ناحية باب الغرفة ثم نزلت سريعًا من السرير لتقف أمام مدخل الغرفة وبدأت في العواء وهي تحدق إلى الطرقة أمامها المؤدية للغرفة.

نظر الشيخ رزق إلى قطته وهي تحدق بغضب نحو شيء لا يراه هو، ولكنّها تراه بالطرقة، فبدا على وجهه الخوف الشديد فقام من مكانه لينظر لضيفيه وهو مضطرب ليقول:

- معلش يا جماعة اعذروني، أنا لازم أقوم أتوضى عشان

ألحق أصلي العشاء في المسجد.

كان كامل وأمير حينها ينظران بتوتر نحو القطة التي لا زالت تحدق نحو الطرقة في الهواء وهي تعوي، فنظر أمير إلى كامل في خوف ثم نهض ليتبعه كامل، قائلًا:

- واحنا بردو مضطرين نمشي عشان ورانا مشوار مهم لازم نقضيه.

فابتسم الشيخ رزق لهما ثم همّ بالخروج من الغرفة وهو يزيح بيده جانبًا قطته من مدخل الغرفة ليتبعه الاثنان سريعًا إلى الخارج ليغادر الجميع البيت.

* * * *

الفصل السادس عشر

"من هناك؟"

خرج الثلاثة من البيت، فسلّم عليهما الرجل وذهب في اتجاه المسجد، بينما مشى الآخران بخطى هادئة بعيدًا عن البيت حتى ابتعدا عنه قليلًا، فخاطب أمير كامل ليسأله:

- احنا هنروح على فين؟

فأجابه كامل:

- هنروح لحسان البيت أحكيله على اللي سمعناه ونشوف رأيه إيه؟

فسأله أمير مجددًا:

- طب احنا مش هنروح للدوار ناخد الحنطور؟

صمت كامل لثوانٍ وهو يفكر ثم عاد ليجيبه، قائلًا:

- احنا عقبال ما نرجع للدوار نجيب الحنطور ونروح بعدها لحسان هنكون خدنا وقت طويل، تعالَ نكمل تمشية لبيته وخلاص.

وافق أمير على ما قاله كامل وسارا نحو بيت حسان، كان الطريق المؤدي إلى بيته مقبضًا للعين والقلب، فقد كان طريقًا موحشًا ومظلمًا يحيطه الصمت من كل مكان ذا أرض وعرة يصعب السير عليها ويقع على جانبه الأيمن ترعة

صغيرة بينما توجد على يساره أرض زراعية تمتد حشائشها للأعلى نحو السماء، فظلا يمشيان في هوان من صعوبة ووعرة الطريق وأثناء سيرهم نظر أمير إلى السماء وهو يتساءل، قائلًا:

- الليل حل علينا... بس انت مش واخد بالك من حاجه يا كامل؟

التفت كامل إليه منتظرًا سؤاله، فأكمل:

- أنا من ساعة ما جيت عندكم وأنا مبشفش القمر.. علطول السما مغيمة ومش ظاهر للقمر أي أثر كأنه مش موجود!

نظر كامل هو الآخر للأعلى ليرى السماء كصفحة سوداء ليس للقمر مكانًا بها ليجيبه:

- تصدق معاك حق، أنا فعلًا مخدتش بالي من الموضوع ده!

التفت كامل وأمير فجأة لصوت الحشائش الزراعية التي على يسارهم وهي تتحرك بجانبهم وكأنّ شيئًا يتحرك بداخلها، فنظرا لبعضهما في صمت وأكملا طريقهما غير مباليين، فلم تمر ثوانٍ أخرى حتى سمعا صوت الحشائش وهي تتحرك مجددًا، فنظر أمير إلى كامل بقلق فحاول كامل التخفيف من توتر أمير، قائلًا له:

- خلاص احنا قربنا نوصل، يلا بينا نمد شوية.

أسرع الاثنان في خطاهما ولكنهما لا زالا يسمعان صوت حركة الحشائش، فشعرا بأن هناك شيئًا ما يتتبعهما بداخلها فنظرا بتوتر للجانب نحو الحشائش وهما يمدان الخطى ولكنهما لم يستطعا رؤية من يتتبعهما، فأسرعا خطاهما مجددًا أكثر فأكثر حتى تحولت من خطى إلى ركض، حتى لمح الاثنان بيت حسان يلوح في الأفق من أمامهما، فأخذا يركضان سريعًا دون أن ينظرا خلفهما وهما يسمعان صوت حركة الحشائش ومن يجري وراءهما بداخلها، واستمرا في الركض فسمعا صوت شيء يخرج من الحشائش ويتبعه صوت قوي لحوافر تركض على الأرض سريعًا من خلفهما، اقترب صوت الحوافر منهما أكثر فأكثر فلم يستطع كامل أن يمنع نفسه من النظر خلفه ليرى ما يطاردهما، وبمجرد أن التفت خلفه حتى وجد نطحة قويّة تصدمه في جانبه لتطيح به ليقع على وجهه بقوة على الأرض.

توقف أمير سريعًا عن الركض لينظر خلفه ناحية كامل ليراه ملقىً على الأرض يتأوه من الألم، بينما كان من تسبب في ذلك واقف في مكانه بجانب كامل بخطوات قليلة.

إنه الجدي الذي رأوه منذ قبل عند جناين، كان الجدي يقف على مقربة من جسد كامل الملقى على الأرض ينظر إليه في صمت دون أن يتحرك، فاعتدل كامل بجسده وهو يتأوه من الألم ووجهه متسخ بينما سالت الدماء من فمه وأنفه لينظر خلفه في خوف، فأخذ الجدي يقترب منه بخطى هادئة

فصاح كامل بأعلى صوته في خوف:

- أمير.

كان كامل ينادي على أمير ليأتي لنجدته، ولكن أمير كان متسمّرًا في مكانه كالصنم، لم يستطع أن يحرّك قدمه أو أن يخطو خطوة أخرى نحو كامل لينجده، بل ظلّ ينظر نحو كامل ونحو الجدي الذي بدأ يقترب منه وهو يرتعد من الخوف.

اقترب الجدي من كامل ببطء حتى وصل إليه وحدق بعينيه البارزتين في أعين كامل التي كانت تضج بالخوف.

- كامل.

اتسعت عينا كامل من الذعر وهو يسمع تلك الكلمات تخرج من الجدي، فظل فاتحًا فمه عاجزًا عن الكلام فبدأ الجدي في الرجوع للوراء لخطوات قليلة وهو يقول:

ـ انت لازم تموت.

ثم بدأ الجدي في خبط حوافره في الأرض ومال بقرونه للأسفل استعدادًا ليصطدم برأس كامل ليهشمها، فأدرك كامل ما كان ينوي أن يفعله الجدي الملبوس من أمامه، ولكنه لم يستطع الحراك فظل ناظرًا إليه في ذعر ثم أغمض عينيه منتظرًا نهايته.

اندفع الجدي بكل ما أوتي من قوه نحو الأمام استعدادًا

لنطحة أخيرة قوية تنهي حياة كامل وتقتله، ولكن حينها طارت في الهواء طوبة أتت من خلف أمير لتصطدم بوجه الجدي بقوة لتسقطه أرضًا قبل أن يتمكن من نطح كامل في وجهه بخطوات قليلة، فالتفت كامل خلفه سريعًا ليجد حسان واقفًا خلف أمير وهو ينحني نحو الأرض ليلتقط طوبة أخرى ثم بدأ يمشي نحوه.

نهض الجدي مترنحًا والدماء تسيل من وجهه بشدة وهو ينظر إلى حسان الذي كان واقفًا بجانب كامل الملقى على الأرض، فأرجع حسان يده الممسكة بالطوبة إلى الخلف استعدادًا لرميها في وجه الجدي مرة أخرى وهو يقول له في تهديد:

- ارحل من هنا.

تراجع الجدي للخلف قليلا وهو لا زال يترنّح محاولا الوقوف باتزان ليقول له:

- انت فاكر إني مش هعرف آئذيه؟ موت الجدي ده مش هيمنعني من إني أقتله.

وفجأة باغت الجدي حسان وجرى للأمام بسرعة وهو يترنح محاولًا الوصول لرأس كامل، لكن أتت ضربة حسان تلك المرة أقوى من قبلها لتطيح بوجه الجدي ليسقط على الأرض مجددًا بجوار كامل الذى ارتعد جسده لحظة سقوط الجدي على الأرض بجواره، كان الجدي ينزف بشدة من

وجهه، ولكنه حاول التحرك بصعوبة للنهوض مرة أخرى فتحرك حسان بهدوء نحو الجدي ليصل عند رأسه ثم رفع قدمه اليمنى عاليًا لينزل بها على رأسه بقوة فأخذ جسد الجدي في التوقف عن الحركة وبدا أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، ثم عاد حسان ليرفع قدمه للأعلى مجددًا لينزل بكل ما أوتي من قوة بقدمه على رأس الجدي ليهشمها، فسالت الدماء بغزارة من رأس الجدي المهشمة وملأت الأرض بجانب كامل الذي أغمض عينه من هول منظر جثة الجدي الغارقة في الدماء.

انحنى حسان للأسفل ليساعد كامل على النهوض وأوقفه على قدميه، بينما كان كامل يشيح بوجهه عن الجدي المُلقى على الأرض، والتفت خلفه لينظر نحو أمير ليجده متسمّرًا في مكانه فاتحًا فمه وينظر بخوف نحو جثة الجدي الهامدة، فمشى كامل ببطء مستندًا على حسان حتى وصلا لأمير فنظر أمير إليه لا يدري ما يقوله فمد كامل يده ليربت على كتف أمير ليهدئه، ثم تحرك هو وحسان على الطريق تجاه بيت حسان ولم تمر لحظات حتى أفاق أمير من صدمته ليتبعهما سريعًا.

فتح حسان باب بيته وأدخل كامل وهو يتكئ عليه حتى وصلا إلى غرفة الضيافة ليساعده على الجلوس على الأريكة، فجلس كامل ببطء وهو يتأوه من الألم ثم سمعا صوت باب البيت يُقفل ليريا أمير قادمًا إليهما، فنظر حسان

نحوه وهو يتقدم حتى جلس على الأريكة الأخرى أمام كامل ووجهه يملؤه الخزي ناظرًا نحو الأرض في صمت، التفت حسان برأسه لكامل وهو يربت على كتفه بخفة، قائلًا:

- أنا هخش أجيبلك فوطة تمسح بيها وشك.

ثم تحرك حسان للخارج بينما حاول كامل الاعتدال في جلسته ببطء وهو يجز على أسنانه من شدة الألم في جسده وهنا رفع أمير رأسه لينظر نحوه بينما كان يفتح فمه ليبدأ الكلام محاولًا تبرير الموقف الذي حدث في الخارج وعدم استطاعته أن يهب لمساعدة كامل، إلا أنه لم يكن يدري ماذا يقول له، ولكنّه استجمع شتات نفسه ليقول:

- كامل أنا.. أنا آسف.

ابتسم كامل له وهو يتأوه من الألم، قائلًا:

- متتأسفش يا أمير.. أنا مقدر الخوف اللي انت كنت فيه، أنا نفسي مكنتش عارف أتحرك أو أقوم أجري من الخوف.. متقلقش أنا مش زعلان.

ابتسم أمير حينها وقد أراحه ما قاله كامل له ثم أتى حسان من الخارج وهو يمسك بيديه طبق غويط به ماء بينما وضع على قصبة يده اليمنى فوطة صغيرة فوضع الطبق على الطاولة أمام كامل ثم أعطاه الفوطة فأمسكها كامل بيده ليضعها في الماء ومسح وجهه بهدوء متأوهًا من الألم وهو يمسح الدماء المتقرحة من على فمه، بينما جلس حسان

بجانبه على الأريكة وهو ينظر إليه، وبمجرد أن انتهى من تنظيف وجهه حتى وضع الفوطة على الطاولة وربت بيده على ركبه حسان ليبتسم، قائلًا:

- تسلم يا حسان.

فابتسم حسان له وهو يجيبه:

- ولا يهمك.. احكولي على اللي حصل وليه جن (البُهم) كان بيطاردكم؟

نظر الاثنان إلى حسان في خوف من سماع اسم ذلك الجن، فاعتدل كامل في جلسته بينما سأله أمير بنبرة متوترة:

- مين جن البُهم ده يا حسان؟

أرجع حسان ظهره للخلف ثم تنهد، قائلًا:

- البُهم دول عشيرة من الجن من اللي اتذكروا في كتاب الكهانة، العشيرة دي بتلبس الحيوانات والبهايم وبتتملكهم ولو مات الحيوان الملبوس بيقدر الجن يتنقل لجسم حيوان تاني ويكمل وجوده هنا مرة تانية من خلاله.

فنظر كامل لحسان ليسأله في قلق:

- طب وازاي نخلص منه؟

تنهد حسان مجددًا وعلى وجهه علامات الحيرة ليجيبه:

- للأسف.. طقوس طرد جن البُهم مش سهلة، طرد جن

البُهم بيتطلب إننا نمسك الحيوان الملبوس ونقتله وبموته بيخرج الجن من جسمه وهو ضعيف عشان يحاول يتملك جسم حيوان تاني ويلبسه، وساعتها بيكون محاوطه دايرة مرسومة حواليه مكتوب جواها طلاسم بتقيده وبتحجزه جواها وتمنعه من الخروج منها وبقراية الكلام اللي مكتوب في الكتاب عليه بيجبره على الرحيل فورًا وبينتهي وجوده هنا تاني لكن دلوقتي الموضوع بقى صعب جدًا وخصوصًا إن الجن عرف إنه انكشف فمش هيدينا فرصة إننا نمسكه.

ثم اقترب حسان بجسده ناحية كامل والفضول يملأ وجهه ليسأله:

- بس هو ليه عايز يقتلك؟ انت ظهرلك الجدي ده قبل كده يا كامل؟ شفته قبل كده يعني؟

أومأ كامل برأسه موافقًا وحكى له عن زيارته هو وأمير إلى جناين من قبل ورؤيته للجدي هناك ومعرفته بأنه ملبوس، فقام حسان من مكانه وهو يصيح في غضب:

- انت ازاي محكتليش اللي حصل ده قبل كده؟!

توتر كامل من قيام حسان المفاجئ وغضبه منه فحاول تجميع أفكاره ليجيبه:

- احنا ساعتها كنا مشغولين بالجن اللي ساكن ضلي وبعدها ابتدينا نشوف الجن اللي صايب فاتن.

فتكلم أمير سريعًا ليكمل ما قاله كامل مدافعًا عنه وهو يقول:

- يا حسان، كامل انشغل باللي بيحصل ساعتها، بس أكيد كان هيحكيلك عنه لكنه نسي وسط اللي بيجري حوالينا من أمور أهم بكتير من الجدي الملبوس.

نظر كامل إلى أمير وهو يومئ برأسه في توتر موافقًا على كلامه ثم نظر إلى حسان مجددًا ليقول:

- أنا كان الأهم بالنسبالي إننا نحل الجن عن الناس وبعد كده نحل الجن عن الجدي مش أكتر.

ظل حسان ينظر إلى كامل في صمت حتى انتهى من كلامه، فسأله أمير سريعا:

- طب انت متعرفش هو جه ليه هنا من الأساس، وليه كان بيتكلم مع جناين؟

التفت حسان إلى أمير في غضب ليجيبه:

- أنا قولتلكم قبل كده إن الكتاب موجود فيه كذا سبب لمجي عشاير الجن لهنا وأنا لحد دلوقتي مش عارف ألاقي السبب اللي بييجوا عشانه.

ثم أكمل والخيبة على وجهه:

- والجن اللي مسخرهم مش بيساعدوني في أي حاجة تتعلق بعشاير الجن التانية، أنا زيي زيكم مش عارف حاجة

خالص.

التفت أمير لينظر نحو النافذة وهو يفكر، قائلًا:

- أنا شاكك في حاجة.. أنا شاكك إن الجن ده عايز يأذيك انت بالذات يا كامل وخصوصًا إنه ساعة لما هاجمك مبصش عليّ أصلا ولا كأني كنت موجود.

نظر كامل نحو أمير وهو يفكر فيما قاله ليجيبه:

- تصدق إن معاك حق، هو فعلًا كان بيوجهلي الكلام كأنه جاي ليّ أنا مخصوص.

ثم همّ كامل بالكلام مجددًا كأنه تذكر شيئًا هامًا ليقول:

- أنا امبارح حلمت بإن جالي واحد براس جدي وجسم إنسان ودخل عليّ الأوضة وهو ماسك راس أبويا في إيده ورماها جنبي وجري عليّ عشان يقتلني.

شرد ذهن حسان قليلًا بعدما سمع ما قاله كامل وأخذ يفكر بصوت عال وهو ينظر للأمام، قائلًا:

- الحلم ده كده جالك بعد ما شفت الجدي أول مرة عند جناين وبعدها ظهرلك دلوقتي وحاول يقتلك؟

أومأ كامل برأسه موافقًا، فنظر إليه حسان في قلق ليقول:

- الحلم ده مش حلم عادي يا كامل، الحلم ده معناه إن الجن ده عايز يقتلك ومش هيسيبك حتى لو اضطر إنه يقتل أعز

الناس ليك.

انفزع الاثنان لما قاله حسان، فنظر أمير بتوتر إليه ليسأله:

- يعني كده كامل هيفضل في خطر لحد لما انت تصرف الجن؟

فالتفت إليه حسان ليجيبه:

- أنا لازم أعرف إيه السبب اللي مخليه عايز يقتل كامل وبسرعة.

وعاد ليكمل:

- بس وجوده عند جناين بيأكدلي إن كل اللي بيحصل في البلد متعلق بيها هي.

صمت الجميع للحظات والكل يفكر فيما قاله حسان، فبالفعل كل الخيوط تؤدي إلى شخص واحد وهو جناين، فأتى على ذهن أمير استفسار جديد طرحه على الجميع.. فتكلم قائلًا:

- تفتكروا تكون جناين هي اللي طلبت من عشاير الجن إنها تؤذي الناس دي؟ أو تكون هي اللي سلطت جن البُهم على كامل؟

هزّ كامل رأسه بالرفض نافيًا ما يقوله أمير ليجيبه:

- ميتهيألي.. جناين طول عمرها بتعزّني، وبتعتبرني زي

أخوها وما شافتش مني حاجة وحشة، جناين بنت غلبانة جدًّا ومتأذيش حد.

اقترب أمير بجسده للأمام نحوه ليكمل تساؤلاته، قائلًا:

- حتى فاتن؟ انت شفت إن هي بنفسها قالت إن فاتن كانت بتضايقها ومنغصة عليها عيشتها.

شرَد كامل في التفكير لثوان قبل أن يجيبه، قائلًا:

- مش عارف، بس مأظنش.

عاد الصمت ليخيم على المكان مجددًا، فالكل كان غارقًا في التفكير محاولًا إيجاد سبب لقدوم الجن للقرية، أو بالأحرى ما السبب في إيذائهم لهؤلاء الناس بالتحديد.

أرهق التفكير ذهن كامل، ولكنه قاده إلى الموقف الأخير له مع الجدي وقدوم حسان لنجدتهم، فسأل حسان في فضول ليقول له:

- انت صحيح عرفت منين إننا موجودين برة؟

فأجابه حسان:

- أنا كنت قاعد بوضب في البيت وفجأة سمعت صوتك وانت بتصرخ وبتنادي على أمير فخرجت أجري على الطريق لحد ما لقيتكم هناك.

ثم حاول تخفيف وطأة الجو العام المليء بالحيرة والتوتر

اللذين يخيمان عليهم، ليقف من مكانه وهو يبتسم إلى كامل، قائلًا:

- أنا لقيتكم مختفيين طول اليوم فقلت فرصة أوضب المكان.

ثم رفع يديه للأعلى ليشير للمكان من حوله، قائلًا:

- إيه رأيكم في المكان.

نظر كامل وأمير حولهما ليجدا أنّ المكان قد اختلف بالفعل عن آخر مرة زاراه فيها، فقد علّق حسان على الحائط إطار كبير به صورة له، ووضع تحته طاولة صغيرة عليها مصباح قديم بينما كان يضع في أحد أركان الغرفه مكتبة خشبية متوسطة الحجم، وكانت المكتبة تحتوي على عدة أرفف فكانت توجد في الرف الأول عدة كتب مصطفة بعناية بجانب بعضها البعض، وكان يوجد في الرف الثاني كتابًا عتيقًا ضخم الحجم، موضوع على جانبه ليأخذ جزءًا كبيرًا من مساحة الرف، وبجانبه صحيفة واحدة بينما الرف الأخير كان يوجد به طبقٌ بلاستيكيٌّ كبيرٌ مملوءًا بالماء، وبجانبه قطع من الأقمشة البيضاء موضوعة فوق بعضها وبجانبها ملاءة خفيفة مطبقة بعناية.

استرعى اهتمام أمير المكتبة التي يضعها حسان في الغرفة وما تحتويه من أشياء غامضة بالنسبة له لتثير الفضول بداخله، فقام ليذهب إليها ووقف أمامها يتفحصها بعينيه،

فقام حسان ليذهب هو الآخر نحو المكتبة ويقف بجانب أمير منتظرًا أن يجيب على أسئلة أمير التي توقع أن ينهال بها عليه في فضول.

- إيه كل الكتب دي؟

قالها أمير وهو ينظر إلى الرف الأول في تعجب فهو لم يتوقع يوما أن يكون حسان من النوع المُطلع الذي يحب القراءة، فابتسم حسان حينها وهو يشير إلى الكتب، قائلًا:

- دي كتب عهود لتحضير الجن وتسخيره.

ثم أشار بيده إلى الكتاب الكبير الموضوع في الرف الثاني قائلًا والفخر يملؤه:

- وده كتاب الكهانة.

اقترب أمير بوجهه لينظر على الكتاب في فضول، كان الكتاب كبيرًا وبداخله ورق متهالك من أثر الزمن عليه، وكان بني اللون وجلده مصنوع من جلد الإبل، بينما كان مكتوبًا عليه بحبر قديم باهت كتابة يدوية لكلمات كانت مكتوبة باللغة العربية، ولكنها غير مفهومة، فحاول فهم أو تجميع تلك الكلمات في عقله، ولكنّه عجز عن ذلك فنظر إلى حسان في حيرة ليقول له:

- أنا مش فاهم حاجة من اللي مكتوب.

فضحك حسان بصوت عال وهو يجيبه:

- ما هو مش انت اللي المفروض تفهم اللي مكتوب، أنا واللي زيي بس اللي نعرف نقراه.

امتعض أمير بوجهه مستغربًا من إجابة حسان له وعاد لينظر إلى الكتاب للحظات ثم نظر إلى الصحيفة الموجودة بجواره فسأله في فضول:

- وإيه الجرنال ده؟!

نظر حسان هو الآخر نحو الصحيفة وهو يقول:

- ده جرنال فيه أخبار تهمني وشايله جايز أحتاجه في يوم.

اقترب أمير بوجهه ليقرأ تاريخ إصدار الصحيفة الذي يعود لسنوات مضت فتعجب، قائلًا:

- بس ده جرنال قديم!

ابتسم حسان له ليجيبه:

- مش تاريخه اللي يهمني أنا يهمني اللي جواه عشان كده محتفظ بيه.

فسأله أمير مجددًا:

- ومحتفظ بيه من كذا سنة؟

فأجابه حسان:

- لا ده أنا لسه جايبه قريب.

ثم اقترب حسان بوجهه من أمير ونظر إليه بجدية مركزًا في عينيه وهو يقول:

- أنا سخرت اللي يجيبهولي على عهد مني ليه بإني مستغلش اللي جواه ضد حد من عشاير الجن.

ظل أمير ناظرًا إلى حسان في صمت محاولًا فهم ما قاله له بينما التفت كامل هو الآخر لينظر ناحية الصحيفة في فضول، وهنا ضحك حسان عاليًا ليقول:

- هههه.. يا عم أمير ده جرنال قديم لسه لاقيه هنا فكنت راكنه على الرف عقبال ما أكمل توضيب.

ثم مد حسان يده للأمام ليتحسس كتاب الكهانة، قائلًا:

- الكتاب ده غالي وميتحطش جنبه غير الحاجات الغالية.

كالعادة لم يفهم أمير ما يرمي إليه حسان فأكمل النظر إلى الرف الأخير ليسأله:

- وإيه الطبق المليان مايه ده؟

فأجابه حسان:

- الطبق ده بيظهرلي فيه الجن اللي أنا مسخرهم، وبقدر أشوف جواه حاجات حصلت وخلصت، زي مثلًا إني أشوف مين اللي كتب عمل معين أو حط العمل ده فين.

أومأ أمير برأسه وهو يقطب حاجبيْه مستعجبًا من تلك

المعلومة الجديدة عليه فأكمل حسان كلامه مشيرًا إلى الأقمشة التي بجانبه ليقول:

- والقماش ده بلف بيه الأعمال اللي بعملها.

ثم مد يده ليمسك الملاءة وهو يكمل، قائلًا:

- أما الملاية دي بقى فهي لـ...

قاطع كلام حسان صياح كامل من خلفهما وهو يناديهما، قائلًا:

- فككم يا جماعة من جلسة تعليم السحر دي، وحد يروح يفتح الباب فيه حد بيخبط.

انتبه حسان لما قاله كامل فأدرك أنه قد انشغل في الشرح لأمير لدرجة أنه لم يسمع الباب وهو يُطرق، فتحرك أمير من جانبه ليذهب ليفتح الباب، ولكن حسان أمسكه من ذراعه بسرعة، قائلًا بجدية:

- احنا منعرفش مين اللي بيخبط على الباب.. استنى أنا اللي هفتح.

تسمّر أمير في مكانه حينها وأخذ الجميع ينظرون إلى الباب في صمت، فوجدوا أنّ الطَّرْقَ قد عاد مرة أخرى، ولكن بقوة أكثر، وهنا تحرك حسان في توجس ناحيه الباب، فراقبه أمير وهو يذهب نحو الخارج بينما مال كامل للأمام لينظر ناحية مدخل البيت في ترقب وخوف شديد وهو يخشى ما سيحدث

الفصل السابع عشر

"قرار نهائي"

تحرك حسان بخطى قلقة نحو الباب ثم وضع يده على المقبض ليفتحه ببطء، ونظر من الجزء الصغير الذي فُتح ليطل على من بالخارج وبمجرد أن رآه حتى فتح الباب على مصرعه ليستقبله.

- كامل مجاش عندك يا حسان؟

ابتسم كامل حين سمع من الخارج تلك الكلمات، فقد عرف صوت من يقولها، إنه والده العمدة فكادت عيناه أن تدمع من الفرحة وهو ينادي عاليًا:

- أنا هنا يابا.

دخل العمدة سريعًا متكئًا على عصاه بعد أن سمع صوت ابنه بالداخل ليذهب إليه فوجده جالسًا على الأريكة وملابسه متسخة بينما توجد على وجهه عدة كدمات، فذهب إليه ليحتضنه بقوة، قائلًا في خوف:

- سلامتك يا كامل!

ثم أرجع جسده للوراء ليمسك بكفيه وجه ابنه ويسأله:

- انت بخير؟

ابتسم كامل لوالده والدموع تكاد تنزل من عينيه، فجلس

والده بجانبه والحزن والقلق يعتصران قلبه ليسأله، قائلًا:

- إيه اللي حصلك؟ احكيلي.

حكى كامل لوالده ما حدث له منذ أن قابل الجدي الملبوس أول مرة وما حدث له منذ قليل، وكيف أنّ الجن توعدت له بالموت المحتم على يديه، بينما أكمل حسان الحديث عن شكوكهم التي تتعلق بجناين، وطوال ذلك الوقت لم ينبس العمدة بكلمة، بل ظل مستمعًا لهما في هدوء، وبعدما انتهى الجميع من حديثه حتى تكلم العمدة ليأخذ قرارًا لم يضعه أحد في الحسبان.

- جناين لازم ترحل عن البلد.

نظر الجميع في تعجب من القرار الذي أخذه العمدة فبادره أمير بالكلام سريعًا:

- بس يا حاج احنا لسه مش متأكدين إذا كانت جناين ليها ذنب في اللي بيحصل ولا لأ، احنا بكرة هنروح لـ...

قاطعه العمدة سريعًا وهو يخبط عصاه في الأرض بعصبيّة شديدة ليقول:

- أنا مش هستنى لما ابني يموت عشان أتأكد إن ليها ذنب ولا لأ، كل حاجة صايبة البلد جاية من تحت راسها..

ثم نظر إلى ولده ليكمل كلامه في غضب، قائلًا:

- بكرة الصبح تبعت محروس يعدي عليها يقولها قدامها يوم

بليلة وتكون سابت البلد.

فرد عليه كامل مستنكرًا كلامه، قائلًا:

- بس ده يبقى حرام يابا.. كده ظلم.

اتسعت عينا العمدة في غضب مما قاله ولده له، فتلك كانت المرة الأولى التي يتهمه فيها بأنه رجل ظالم فرد عليه في حزن ليقول:

- أنا ظالم يا كامل؟ ظالم عشان خايف عليك من الموت؟

فصمت العمدة للحظات ثم صاح فيه عاليًا:

- انت تسمع الكلام اللي بقوله وتنفذه فاهم؟

نظر كامل في الأرض في غضب، فحاول أمير أن يتكلم محاولًا أن يُعدل العمدة عن قراره لولا أن وجده يصيح في كامل مجددًا وهو ينهض غاضبًا:

- قوم بينا على الدوار دلوقتي.

حاول كامل القيام من مكانه ولكن بصعوبة فقام أمير سريعًا ليساعده على النهوض، فقام كامل متكئًا عليه ليتجها نحو الباب والعمدة يسير أمامهما في غضب حتى وصلوا إلى الخارج، فأقفل أمير الباب من ورائه ليتجه الجميع نحو الحنطور الذي كان منتظرًا إياهم ليقلهم إلى طريق العودة، ركب الجميع العربة فصاح العمدة بصوت عال على نعيم ليقول:

- نعيم.. ودينا نوصل أمير وبعد كده اطلع بينا على الدوار.

تحرك نعيم بالحنطور متّجهًا إلى وجهته وطوال الطريق ظل الجميع جالسين بجانب بعضهم في صمت حتى وصلوا إليه، فربت أمير على كتف كامل برفق ثم نزل سريعًا، تحرك الحنطور مرة أخرى تجاه الدوار، ولكن بعد مرور وقت قليل من تحركه قرر العمدة أن يقطع حاجز الصمت بينه وبين ولده فنظر إلى كامل بجانبه وهو يبادر بالحديث ليسأله:

- انتوا رحتوا للشيخ رزق ولا لسه؟

أومأ كامل برأسه موافقًا وهو ينظر إلى الأسفل مشيحًا بنظره عنه، مما أثار غضب والده ليصيح فيه، قائلًا:

- انت ساكت ليه؟ ما تحكي اللي حصل.

تنهد كامل وهو يجيبه:

- مفيش.. هو مش عايز حد يتدخل في اللي بيحصله.

فنظر إليه العمدة باستغراب ليسأله:

- طب خدت حسان معاك وانت رايحله؟

هزّ كامل رأسه نافيًا:

- لا مأخدتهوش، أنا قابلت الشيخ رزق الصبح وقالي إنه مش عايز حسان ييجى معايا عشان..

قاطع حديثه توقف الحنطور بشكل مفاجئ جعل الاثنين

يندفعان للأمام بقوة، وكاد العمدة أن يقع للأمام لولا أن أمسك به كامل سريعًا محدثًا نعيم في غضب:

- إيه يا نعيم اللي حصل وقفت ليه؟

تكلم نعيم وهو يحرك سرج الحصان في استغراب ويقول:

- مش عارف يا كامل بيه الحصان وقف لوحده.

ثم عاد ليتكلم بعصبيه واضحة وهو يخبط سرج الحصان بقوة، قائلًا:

- الحصان مش راضي يتحرك من مكانه مش عارف ماله.

نزل نعيم من الحنطور وهو يهمهم غاضبًا ليقف بجانب الحصان ليفحصه ويعرف سبب توقفه المفاجئ، ثم ذهب ليقف أمامه وهو يشد السرج للأمام محاولًا جعل الحصان يتحرك، بينما كان العمدة وكامل ينظران إليه منتظرين أن يخبرهما بما الخطب في الحصان، وفجأة رجع الحصان سريعًا للخلف ليقف على حوافره الخلفيّة رافعًا حوافره الأماميّة في الهواء لينزل بهما على وجه نعيم بقوة، فسقط نعيم على الأرض مغشيًا عليه من أمامه والدماء تسيل من رأسه، بينما عاد الحصان ليقف في مكانه في هدوء مرة أخرى.

فقَدَ كامل قدرته على الكلام فظلّ فاتحًا فمه غير مصدق ما حدث فقام من مكانه ببطء لكي ينزل من عربة الحنطور

ليذهب إلى نعيم إلا أن ّالحصان التفت برقبته جانبًا لينظر إليه في الخلف مردّدًا:

- أنا قلتلك إنك لازم تموت.

تسمّر جسد كامل في الهواء وهو يسمع تلك الكلمات الصادرة من الحصان وقد أدرك حينها أنّ الجن قد تملك الحصان، فاندفع الحصان سريعًا بالعربة لتدهس من تحتها جسد نعيم المُلقى على الأرض مندفعة إلى الأمام بكل قوة.

اندفع كامل إلى الخلف بقوة ليصطدم بأريكة العربة من خلفه فأمسك بيده اليمنى سريعًا قائمَ العربةِ بجانبه بينما أمسك بيده الأخرى ذراع والده بقوة فأمسك العمدة بيد كامل هو الآخر وهو يحاول أن يتشبث بها، بينما كانت العربة تهتز بقوة وتتطاير في الهواء يمينًا ويسارًا من سرعة سريانها على الطريق الوعر.

لحظات مرت عليهما كأنها ساعات وهما يحاولان التشبث بالعربة حتى لا يسقطا منها والفزع يملأ وجهيهما فهما متّجهيْن إلى مصير لا يعرفانه، حتى لاحت على الطريق من أمامهما ترعة كبيرة تعترض الطريق الذي كان يتجه في آخره ناحية اليمين، وبمجرد أن لمحاها حتى وجدا أنّ الحصان قد أسرع في ركضه أكثر فأكثر فأخذ يركض بقوة وكأن نيرانًا من خلفه تطارده، حتى وصل إلى منحنى الطريق بجانب الترعة فأكمل الحصان ركضه للأمام متخطيًا الطريق ليقفز

ليذهب إلى نعيم إلا أن ّالحصان التفت برقبته جانبًا لينظر إليه في الخلف مرددًا:

- أنا قلتلك إنك لازم تموت.

تسمّر جسد كامل في الهواء وهو يسمع تلك الكلمات الصادرة من الحصان وقد أدرك حينها أنّ الجن قد تملك الحصان، فاندفع الحصان سريعًا بالعربة لتدهس من تحتها جسد نعيم المُلقى على الأرض مندفعة إلى الأمام بكل قوة.

اندفع كامل إلى الخلف بقوة ليصطدم بأريكة العربة من خلفه فأمسك بيده اليمنى سريعًا قائمَ العربةِ بجانبه بينما أمسك بيده الأخرى ذراع والده بقوة فأمسك العمدة بيد كامل هو الآخر وهو يحاول أن يتشبت بها، بينما كانت العربة تهتز بقوة وتتطاير في الهواء يمينًا ويسارًا من سرعة سريانها على الطريق الوعر.

لحظات مرت عليهما كأنها ساعات وهما يحاولان التشبث بالعربة حتى لا يسقطا منها والفزع يملأ وجهيهما فهما متّجهيْن إلى مصير لا يعرفانه، حتى لاحت على الطريق من أمامهما ترعة كبيرة تعترض الطريق الذي كان يتجه في آخره ناحية اليمين، وبمجرد أن لمحاها حتى وجدا أنّ الحصان قد أسرع في ركضه أكثر فأكثر فأخذ يركض بقوة وكأن نيرانًا من خلفه تطارده، حتى وصل إلى منحنى الطريق بجانب الترعة فأكمل الحصان ركضه للأمام متخطيًا الطريق ليقفز

بكل ما أوتي من عزم إلى داخل الترعة ساحبًا خلفه العربة ليسقطا في أعماقها.

هدأت حركة المياه على السطح بعدما ارتجت بقوة أثر الصدام، وساد بعدها لحظات من الصمت على المكان حتى انبثق شخص من وسط الماء يصارع للبقاء على سطحها دون أن يغرق، فأخذ يبطش بيده الماء يمينًا ويسارًا محاولًا الوصول إلى ضفتها حتى وصل إليها، فحاول أن يسحب جسده المنهك للخروج منها متمسكًا بآخر قطرة في عزيمته حتى خرج منها، فألقى بجسده على الطريق يلهث أنفاسه السريعة المتقطعة قبل أن ينظر إلى الترعة وهو يصرخ عاليًا في صدمة:

- أبااااا!

* * * *

الفصل الثامن عشر

"حزن لا ينتهي"

سبعة أيام قد انقضت، فقد فيها كامل كل شيء، فقد والده وسنده في الدنيا، كان الحزن يعتصره من الداخل ويستنزف روحه ورغبته في العيش، فقد تمنى لو أنه لم يذهب إلى القاهرة أو يبعد عن والده يومًا واحدًا في حياته، تمنى لو كان هو من مات بدلًا منه، تمنى لو أنّ الجدي قد أنهى حياته قبل أن يذهب والده للبحث عنه، كره في نفسه حب الخير ومحاولة مساعدته لأهل القرية التي قادته في النهاية لفقدان أعز شخص لديه، ومرت الأيام وحان الوقت ليتولى نصاب الأمور في البلدة ويتولى أمر رعاياها، فلقد أصبح هو عمدتها الجديد.

كان أمير وحسان لا يفارقانه منذ تلك الحادثة، يذهبان إليه كل يوم ليطمئنا عليه وحينها كانا يجلسان بجانبه في صمت مكتفيين بمساندته في حزنه لا يتكلمان معه عما حدث أو أى شيء يخص ما أصاب أهل القرية، إلا أن ما حدث يومها يستوجب أن يتكلما معه فيه.

وفي ذلك اليوم وبالتحديد في الساعة الثالثة ظهرًا دخل الاثنان على كامل الغرفة وقد كان جالسًا على سريره في صمت، فنظر أمير إليه في حزن وهو يراه في تلك الحال وقد نحل وجهه وكأنه شخص مريض، فقلما كان يأكل أو يشرب،

مهملًا لحيته التي كان دائم حلاقتها بينما كان السواد يظهر أسفل عينيه كأنه لم ينم منذ أيام وقد احمرت عيناه من كثرة البكاء ناظرًا أمامه في شرود، فجلس أمير بجانبه بينما اكتفى حسان بالوقوف بجانب السرير في صمت، فحدثه أمير، قائلًا:

- كامل.. فيه موضوع مهم محتاجين نتكلم معاك فيه.

ثم صمت لثوانٍ قبل أن يكمل:

- الحاج عبد القادر جه تحت ومعاه ابنه عماد وعايزين يقابلوك ضروري.

التفت كامل إليه، قائلًا في حزن:

- أنا مش هقابل حد، شوفوا أنتم هما عايزين إيه.

نظر أمير إلى حسان لا يعرف ماذا يقول فأكمل حسان عنه الكلام ليقول:

- هما عايزينك ضروري ومش عايزين يتكلموا غير في وجودك.

فعاد أمير ليتكلم:

- لازم تنزل معانا تشوف عايزين إيه.

نظر كامل إليه بغضب ثم تنهد في تذمر وهو يقوم ببطء من على سريره ليخرج من غرفته لينزل على السلالم ويمشي من

خلفه الاثنان ليتبعاه وهو يتجه في طريقه إلى غرفة الضيافة حيث يجلس الرجل وولده.

دخل كامل الغرفة ومن خلفه حسان وأمير ليجد الرجل وولده جالسيْنِ على الأريكة في انتظاره، ويبدو على وجهيهما الضيق الشديد، وبمجرد أن رأوه حتى وقفا ليسلما عليه وبعد ذلك جلس الجميع في صمت دام للحظات، فكان الرجل وولده يبدو عليهما الانزعاج الشديد لا يجدان ما يقولانه فبادر كامل بالحديث لهما، قائلًا:

- خير يا حاج عبد القادر؟

فتكلم الرجل ليجيبه:

- أنا مقدر اللي انت فيه يا كامل وعشان كده صبرنا كذا يوم لحد ما فاض بينا وكان لازم نجيلك.

وقبل أن يعاود الكلام قاطعه عماد صائحًا في غضب:

- انت ضحكت علينا وجبتلنا واحد نصاب.

التفت حسان إلى كلام عماد الذي كان من الواضح أنه يشير اليه، فنظر إليه بغضب وكاد أن يتكلم لولا أن أشار إليه كامل بالسكوت فصمت بوجه عابث ثم عاد كامل ليكلم عماد في هدوء ويسأله:

- ونصب عليكم في إيه؟

كان عماد وقتها ينظر شزرًا إلى حسان بينما كان يبادله

حسان النظرات نفسها، فأمسك الرجل بكتف ابنه من جانبه ليهدأ، فأشاح عماد بوجهه عن حسان ثم نظر الرجل ناحية كامل ليجيبه هو بدلًا عن ولده ليقول:

- الجن رجع تاني يزور فاتن.

ذُهل كامل مما سمعه بينما نظر حسان إلى الحاج عبد القادر في تعجب مستنكرًا ما يقوله، فعاد الرجل ليكمل، قائلًا:

- بس المرة دي جه ألعن من الأول.

اقترب أمير بجسده ناحية الرجل ليسأله في فضول:

- يعني إيه ألعن من الأول؟

فأجابه الرجل وهو يشرح ما يقصده، قائلًا:

- بعد ما الغمة انزاحت بكام يوم وافتكرنا إن الجن رحل عننا، بنتي راحت تنام في أوضتها زي زمان، وبعد ما نامت لقت صوت جنب سريرها بيناديها باسمها فصحيت مفزوعة، وقبل ما تقوم من سريرها سمعت الصوت تاني وهو بيهددها بأنها لو اتحركت أو صوتت هيحرقها في مكانها قبل ما تلحق تهرب منه، وأمرها إنها ترجع تنام على السرير على بطنها وتحط وشها في المخدة ومتطلعش حس أو نفس.

ثم عاد ليكمل في حسره:

- ورجع تاني لعمايله وألعن، مبقاش مكتفي باللي كان بيعمله قبل كده، رجع المرة دي يحسس على جسمها كله

وبعد ما خلص عمايله قالها إنها لو منامتش في سريرها كل يوم هيصيبها بالشلل وهيخليها متفارقش سريرها تانى، وهددها بأنها لو عرفت حد إنه رجع يزورها تاني هيحرق البيت واحنا جواه ومصيرنا هيبقى الموت.

ثم عاد ليتكلم بنغصة مرارة في حلقه:

- وبعدها بيومين بنتي انهارت وجات حكتلي على اللي بيحصل، وإنها مبقتش قادرة تستحمل اللي بيحصلها أكتر من كده لدرجة إنها فكرت تموت نفسها لأنه هيكون أهون عليها من اللي هي فيه.

كانت تلك الجملة الأخيرة بمثابة فتيل أشعل نار الغضب في ابنه عماد فقام من جلسته سريعًا لينقض على حسان الجالس من أمامه ممسكًا برقبته وهو يصرخ:

- كله منك.. انت السبب.

انتفض الجميع من جلسته أثر هجوم عماد على حسان وحاول أمير أن يخلص رقبة حسان من يد عماد الذي كان مقبضًا عليها بقوة، بينما كان حسان يحاول إفلات رقبته منه هو الآخر، وجرى كامل نحوهما ليمسك عماد من ظهره ويسحبه بعيدًا عن حسان حتى استطاعوا تخليص رقبة حسان من يده أخيرًا، فدفع كامل عماد في غضب ناحية الأريكة ليعود ليجلس في مكانه وهو يميل للأمام منتظرًا بفارغ الصبر أن يهجم على حسان مرة أخرى حين تواتيه الفرصة.

كان أمير وكامل واقفيْنِ في وسط الغرفة يحولان بين حسان وعماد الذي كان يجلس ثائرًا يتوعد بعينيه له، فنظر كامل لعماد في غضب وقد فاض به الكيل صائحًا فيه:

- بيت العمدة ـ الله يرحمه ـ عمر ما حد اتعارك فيه لا في حياته ولا بعد موته.. انت فاهم؟

أفاقت كلمات كامل عماد من ثورته فأرجع ظهره ليسنده على الأريكة وهو يتنهد في غضب ناظرًا إلى كامل الذي عاد ليجلس في مكانه، بينما ظل أمير واقفًا للحظات حتى عاد هو الآخر لمجلسه، فنظر كامل لحسان ليسأله:

- حسان؟ إيه رأيك في الكلام اللي سمعته ده؟

تكلم حسان ناظرًا للحاج عبد القادر بغضب وهو يدعك رقبته بيده من شدة إمساك عماد بها ليقول:

- الجن اللي كان صايب بنتكم أنا صرفته.

ثم نظر إلى عماد وهو يكمل:

- الجن اللي بيزور بنتكم ده جن تاني.. أنا متأكد.

فنظر إليه كامل ليسأله:

- طب انت هتعرف تصرفه؟

أومأ حسان برأسه ليجيبه:

- مفيش جن يقدر يحرق إنسان، الجن ده كداب، هو خايف

إن حد يواجهه أو يكشفه.. بس ليه معرفش.

ثم عاد ليكلم الحاج عبد القادر ويسأله:

- هو بيجي لبنتك امتى؟

فأجابه الرجل في خزي شديد:

- بيجي لبنتي كل يوم بعد نص الليل.

فأكمل حسان كلامه:

- يبقى الحل الوحيد إني لازم أواجهه.

وهنا تدخل أمير في الكلام بعدما كان جالسًا مستمعًا طوال الوقت ليقاطعه في فضول:

- وهتصرفه ازاي؟ وافرض إنه أذاك؟

التفت إليه حسان ليجيبه:

- الجن اللي بيكدب بيبقى جن ضعيف وخايف، وأنا هعرف أحصن نفسي منه كويس وأصرفه.. المهم إني لازم أشوفه وأواجهه.

ثم وقف حسان من مكانه موجهًا كلامه إلى الرجل وولده:

- أنا عايزكم ترجعوا للبيت النهاردة ومتخرجوش منه ولا تكلموا حد وأنا هجيلكم على الساعة عشرة وهتدخلوني أوضة بنتكم وهتخبوني في دولابها وأنا هستنى لحد ما الجن ده يظهر وهواجهه.

فنظر عماد لوالده ثم عاد لينظر إلى حسان وهو يومئ برأسه في حنق موافقًا على ما طلبه منهم، وقبل ذلك وبينما كان حسان يوجه حديثه للرجل وولده، اقترب أمير برأسه ناحية أذن كامل ليهمس له، قائلًا:

- كامل، أنا مش عايز أروح مع حسان المشوار ده.

فنظر إليه كامل ليطمئنه، قائلًا:

- أمير.. انت مش مطالب بحاجة من اللي بتحصل دي، انت جاي هنا تحقق في موضوع مش جاي تصرف عفاريت.. متقلقش.

ابتسم أمير لكامل وقد ارتاح قلبه لما سمعه منه، فلقد كان كامل مدركًا لطبيعه أمير الهشّة، فهو لم يتعرض لتلك المواقف قبل أن يأتي إلى القرية وخوفه منها مبررًا له فلذلك قرر رفع الحرج عنه وطمأنته، توجه كامل للرجل وولده بالحديث بعد ذلك، قائلًا:

- خلاص يبقى حسان هيجلكم النهاردة بالليل.

ثم التفت لينظر إلى أمير في هدوء وهو يقول:

- وأنا وأمير هنستناه في الدوار لحد ما يرجع.

حاول أمير إخفاء ملامح السعادة التي ارتسمت على وجهه بعدما سمع كامل وهو يعفيه أمام الجميع من الاشتراك في تلك المهمة، بينما اكتفى بالنظر أمامه في صمت، ثم تنهد

كامل وهو يقف، قائلًا:

- توكلنا على الله.

نهض الجميع من أماكنهم وتوجّه الحاج عبد القادر وولده ناحية الباب وعماد ينظر شزرًا ناحية حسان بينما توجه والده بالكلام قبل أن يفتح الباب ليخرج منه، قائلًا:

- سلام عليكم.

وبعد أن خرج الاثنان من الباب نظر حسان إلى كامل، قائلًا:

- أنا لازم أمشي عشان أحضر كذا حاجة هحتاجها لما أروحلهم بالليل.

ثم سارع بالوقوف ليخرج هو الآخر من الدوار، وبعد أن خرج حسان، التفت أمير إلى كامل ليجد أنه قد بدأ في الشرود مجددًا، فحاول تغيير الجو العام ممازحًا إياه ليسأله:

- طب أنا دلوقتي أناديلك يا كامل ولا يا حضرة العمدة؟

هز كامل رأسه في شرود وهو يبتسم بحزن ليقول:

- عمدة! يا ريتني ما شفت اليوم اللي أبقى فيه العمدة.

فسارع أمير بالتربيت على كتفه بحنان، قائلًا:

- خلاص يا كامل متزعلش طيب.

ثم عاد ليحدث كامل وهو يبتسم، قائلًا:

- أنا جعان جدًا.. تعالى نتمشى شوية لحد ما محروس يعملنا حاجة ناكلها.

فكاد كامل أن يحدثه ليرفض طلبه لولا أنه أكمل سريعًا:

- عشان خاطري يا كامل كل لقمة معايا.

ثم أمسك بيد كامل ليصحبه نحو الخارج، قائلًا:

- تعالى بس نتمشى برة شوية في الجنينة لحد ما الأكل يجهز.

فأومأ له كامل مبتسمًا وبدآ بالتحرك نحو الباب ليمرا بجوار المطبخ فوجدا محروسًا جالسًا في المطبخ، ولكنه قام من مكانه بمجرد أن رآهما فخاطبه أمير، قائلًا:

- حضرلنا حاجة ناكلها يا محروس.

ابتسم محروس له ثم أومأ برأسه له ليجيبه:

- من عينيّ يا أمير بيه.

ثم هبّ مسرعًا ليبدأ بتحضير الطعام لهما بينما فتح أمير باب الدوار ليخرج هو وكامل إلى الجنينة لينتظرا الطعام ريثما يتحضر.

* * * *

الفصل التاسع عشر

"زائر الليل"

وفي مساء ذلك اليوم جلس الحاج عبد القادر وولده في صالة البيت منتظريْنِ قدوم حسان، وحينما اقترب ميعاد لقائهم وجدا الباب يُطرق، فنظر عماد إلى الباب سريعًا ثم عاد لينظر إلى الساعة المعلقة على الحائط بجواره ليجدها قد قاربت على الحادية عشر، فنظر إلى أبيه الذي أشار له ليذهب ليفتح الباب، فنهض مسرعًا نحوه ليفتحه مستقبلًا ضيفهما.

دخل حسان من الباب وهو ينظر إلى عماد في تجهم، ثم تقدم بخطوات بطيئة نحو الحاج عبد القادر الجالس أمامه وهو يتفحص المكان حوله ناظرًا على يمينه ويساره، حتى وصل إلى كرسي بجانب مجلس الرجل وجلس عليه، وعاد عماد ليجلس على الأريكة بجوار والده بينما خرجت فاتن من غرفتها لتجلس سريعًا بجوارهما، فنظر حسان إلى عماد مؤكدًا على ما طلبه منهما سابقًا ليسأله:

- أنتم قابلتم حد النهارده أو حد جالكم؟

فرد عليه عماد بالنفي ليقول:

- لأ، محدش زارنا ولا احنا قابلنا حد.

فنظر حسان إليه هو ووالده، قائلًا:

- أنا هقوم دلوقتي أخش أوضة بنتكم واستخبى في الدولاب وبعد شوية فاتن هتخش أوضتها وتنام على سريرها.

ثم عاد ليخاطبهما بحزم:

- وأنتم كمان تطلعوا أوضكم وتستنوا فيها، عايز نور البيت كله مطفي وكأن أهل البيت كلهم ناموا.

ثم قام من مكانه وهو ينظر إلى فاتن ليسألها:

- انتي أوضتك فين.

فأشارت له باستحياء ناحية غرفتها على اليمين، فتحرك ليذهب إليها.

دخل حسان غرفة فاتن وهو يتفحصها بنظره جيّدًا، كانت الغرفة تحتوي على سرير وبجانبه يوجد شباك صغير مقفل وأمام السرير شيفونيرة بمرآة وبجانبها دولاب ملابسها، فأكمل النظر بعينيه في المكان باحثًا عن مِفتاح الإضاءة حتى وجده على الجدار بجانب الباب، فنظر إليه للحظات ثم تقدّم نحو الدولاب ليفتحه ويدخل ليختبئ بداخله ليبدأ انتظاره.

دخل حسان الدولاب وأغلق بابه بصعوبة، وظل واقفًا بداخله منتظرًا لوقت ليس بقليل، حتى شعر بفاتن وهي تدخل الغرفة وتطفئ النور من خلفها، ثم سمع صوت أنين السرير وهي تصعد عليه، دقائق كثيرة مرت عليه وهو يقف مختبئًا

داخل الدولاب، فبدأ الألم يحل على قدميه من كثرة الوقوف في مكانه، ولكنّه احتمل الألم مصبًا تركيزه على سمعه منتظرًا قدوم زائر الليل، وبعد مرور أكثر من ساعتين وبينما كان حسان قد بدأ يشعر أن قدميه ستخذلانه، استرعى انتباهه صوت خطوات بطيئة تدخل الغرفة، فشد من وقفته وظل يسترق السمع، فوجد أنّ صوت الأقدام يقترب من ناحية سرير فاتن حتى توقف صوت تلك الخطوات، فظل منتبهًا يسترق السمع لما سوف يحدث لاحقًا.

سمع حسان صوت السرير وهو يئن من حركة فاتن فوقه ثم سمع صوت أجش يحدثها بتهديد، قائلًا:

- متتحركيش.

وهنا قفز حسان من الدولاب متجها بأقصى سرعته ناحية مفتاح الضوء لينيره ثم التفت سريعًا ليرى زائرهم الغامض فصدم مما رآه حينها..

بعد أن أضاء حسان النور في الغرفة، رأى أمامه شابًّا نحيلًا يرتدي جلبابًا وعلى وجهه شال ملفوف حول وجهه يقف بجانب السرير، بينما كانت فاتن نائمة على جانبها وظهرها له، فالتفت الشاب سريعًا لينظر ناحية الباب بينما الشال يغطي معظم وجهه ليظهر منه عيناه وأنفه فقط محدقًا بحسان في توتر لا يدري ماذا يفعل وقد اكتشف أمره، وهنا التفتت فاتن سريعًا لتنظر خلفها لتجد الشاب الواقف بجانب

سريرها فأخذت تصرخ بأعلى صوتها بطريقة هيستيريّة، بينما ظلّ حسان متسمرًا في مكانه وهو ينظر إلى الشاب من أمامه حتى سمع صوت أقدام مسرعة تأتي من الخارج.

اندفع الحاج عبد القادر وولده لداخل الغرفة دافعين حسان جانبًا، وما إنْ رأوا الشاب حتى جريا نحوه ليمسك به الحاج عبد القادر بينما قفز عليه عماد وأخذ يبرحه ضربًا فحاول الشاب تغطية وجهه بيديه من شدة الضرب محاولًا دفع جسده للوراء ليفلت من يد الرجل الذي كان متشبثًا بجلبابه وقد رفع يده سريعًا لينزع الشال من على وجه الشاب، فحرّك الشاب رأسه للخلف سريعًا دون جدوى فانزاح الشال من على وجهه كاشفًا هويته، حينها اتسعت عينا الحاج عبد القادر وهو لا يصدق ما يراه، فقال في ذهول:

- محمود!

تسمر عماد في مكانه هو الآخر بعد رؤيته لمحمود ابن عمه الذي كان ينهج من شدة التعب وهو ينظر إليهما في خوف، فانهال عليه عماد بالضربات مراتٍ أخرى وهو يصيح ثائرًا:

- يا بن الكلب يا وسخ.

بينما أخذ الحاج عبد القادر في صفعه بيده بكل ما أوتي من قوة، قائلًا في ذهول:

- دي بنت عمك يا وسخ.. يا وسخ.

أخذ الشاب في البكاء بانهيار من كثرة الضرب وهو يحاول تغطية وجهه وهو يصيح في خوف:

- هموت من الضرب.. همووووت.

كان حسان طوال ذلك الوقت واقفًا في مكانه لم يتدخل، كان يراقب الموقف في ذهول وهو يرى محمودًا يبكي متوسّلًا عمه وولده ليتوقفا عن الضرب المبرح الذي انهالا به عليه، بينما كانت فاتن جالسة على سريرها وهي تبكي بشدة واضعة يدها على فمها وهي تشاهد ذلك الموقف، حينها وجد حسان أنّ عمادًا قد توقف عن ضربه للشاب واندفع إلى الخارج وهو يصيح عاليًا:

- هموتك يا بن الكلب.

خرج عماد مسرعًا إلى المطبخ وفتح الأدراج باحثًا عن سكين ليعود ليقتل ابن عمه محمود، مرددًا في ذهول:

- يا بن الكلب.. يا بن الكلب.

هنا نظر محمود برعب إلى خارج الباب وقد سمع صوت أدراج المطبخ تُفتح وصوت ما بداخها يصتك بقوة فأدرك حينها المصير الذي ينتظره فأخذ يحاول الهرب من يد عمه بكل ما أوتي من قوة، فتركه عمه وقد أُنهكت يداه من محاولات محمود المستميتة للتملص من يده وخارت قوته.

اندفع محمود إلى خارج الغرفة سريعًا ليفتح باب البيت ويهم

بالفرار، بينما جرى عماد وراءه وهو يمسك سكين في يده ويصيح:

- هموتك يا بن الكلب.

جلس الحاج عبد القادر على سرير ابنته في ذهول فانهارت فاتن بالبكاء وهي تحتضنه، فاحتضنها بقوة هو الآخر وهو يبكي في حسرة، فنظر حسان نحوهما في حزن ولم ينبس بكلمة وبدأ في التحرك من الغرفة ليخرج من باب البيت متّجهًا لدوار العمدة.

* * * *

الفصل العشرون

"لا تخذلنا"

عاد حسان إلى الدوار بعد ذلك، وبمجرد أن تخطى السور حتى وجد كامل وأمير جالسين في الخارج على كرسيين يتحدثان مع بعضهما فتقدم نحوهما حتى وصل إليهما، فنظر كامل إليه في فضول ليسأله:

- عملت إيه؟!

نظر حسان إليه في صمت لثوان ثم نظر نحو باب الدوار، قائلًا:

- أنا هروح أجيب كرسي وآجي.

تحرك حسان نحو باب الدوار في هدوء بينما راقبه الاثنان في تعجب حتى عاد إليهما وهو يحمل كرسيًّا خشبيًّا من الداخل، فوضعه بجانبهما وجلس عليه في صمت، فحدّثه كامل قائلًا:

- حصل إيه؟ ما تتكلم يا حسان.

نظر حسان إليه بهدوء ليجيبه:

- مطلعش جن.

نظر كامل إلى أمير في تعجب ثم التفت ناحية حسان مجدّدًا محاولًا استيعاب ما قاله ليسأله:

- مطلعش جن! أمال طلع إيه؟

فأجابه حسان:

- طلع محمود ابن عمها.

تقدم كامل بجسده ناحية حسان وهو ينظر إليه في ذهول ليسأله:

- محمود ابن عمها؟ انت متأكد؟

أومأ حسان برأسه له، قائلًا:

- كلنا شفناه.

فسارع أمير ليسأله هو الآخر في فضول، قائلًا:

- طب وإيه اللي حصل؟

نظر إليه حسان وهو لا يدري ما يقول، ثم جمع شتات نفسه ليجيبه:

- الحاج عبد القادر وابنه فضلوا يضربوا فيه، وبعدها عماد جري على المطبخ عشان يجيب سكينة ويقتله بس هو هرب منه.

فسأله أمير مجددًا في اهتمام:

- وإيه اللي حصل بعد كده؟

هزّ حسان كتفيه، قائلًا:

- معرفش.. عماد طلع يجري وراه بالسكينة وأنا سبت الحاج عبد القادر وبنته في البيت ورجعتلكم.

صمت كامل وأمير بعدما أكمل حسان كلامه شاردين في التفكير لثوانٍ حتى قطع حسان صمتهما، قائلًا:

- بس أنا قبل ما أروحلهم البيت كنت عارف إنّه محمود ابن عمها.

نظر الاثنان إليه في ذهول فأكمل كلامه، قائلًا:

- أنا لما سمعت اللي قاله الحاج عبد القادر وابنه وهما في الدوار حسيت إن فيه حاجة غلط بس مكلمتش عشان كان لازم أتأكد الأول، عشان كده حسستهم إني مصدق اللي سمعته منهم لحد ما أرجع بيتي وأعرف الحقيقة لإني كنت شاكك إن اللي بيعمل كده إنس مش جن، ولما رجعت سألت الجن اللي مسخرهم عشان يساعدوني والمرة دي عرفت منهم كل حاجة.

ثم تابع، قائلًا:

- عرفت منهم إن الجن اللي فاكرينه صايب بنتهم يبقى محمود ابن عمها.

فسأله كامل وهو في حيرة من أمره:

- بس إيه اللي يخليه يعمل كده؟

ثم عاد ليصمت للحظات وهو يفكر ليكمل، قائلًا:

- وعرف يخش البيت ازاي؟

أخذ حسان نفسًا عميقًا قبل أن يبدأ بشرح ما لا يعرفانه ليجيبه:

- وقت لما الجن كان لسه موجود، عماد كان بيروح يقعد على القهوة مع محمود ابن عمه وهو مخنوق ومش طايق نفسه، وفي يوم ضغط عليه محمود إنه يفضفضله وعماد حكاله على كل حاجة عن موضوع الجن اللي بيزور أخته، وفي اليوم اللي عرف من عماد إن الجن اتصرف عنهم محمود الشيطان وزّه وشهوته عمته، وقرر إنه يستغل حكاية الجن ديه ويروح هو بداله لفاتن وكأن الجن رجعلها تاني.

ثم عاد ليقول:

- محمود كان معاه مِفتاح البيت والسطح، عماد كان مديهمله عشان لو احتاج يجي ياخد العلف من السطح وهو مش موجود، ومكنش يعرف إن محمود هيستغل المفتاح ده في إنه يجي للبيت وهم نايمين ويروح لفاتن أوضتها، وكان بيتخن صوته ويغيره عشان متعرفش إنه هو، ويوهمها بإن الجن لسه موجود وما انصرفش.

توقف حسان عن الكلام فنظر كامل للأسفل وهو يحرك رأسه في أسى وهو يقول:

- معقول يكون فيه حد بالوساخة دي!

فحدثه أمير في أسى ليجيبه:

- صدقني يا كامل.. أنا شفت أكتر من كده بكتير، شفت أب بيستحل بنته وأخ بيستحل أخته.. الدنيا بقت وحشة يا كامل لدرجة متتخيلهاش.

ثم تذكر أمير تساؤلًا هامًّا فسارع بسؤال حسان:

- آه صحيح استنى.. انت ليه لما كان الراجل وابنه هنا في الدوار طلبت منهم انهم ميخرجوش من بيتهم لما يرجعوا ولا يكلموا حد؟

فتكلم حسان بهدوء ليجيبه:

- أنا مكنتش عايز حد منهم يخرج برة البيت ولا يقابل حد، لإني مضمنش حد منهم يتكلم مع حد ويعرفه اللي هيجرى النهاردة فياخد حذره، حد منهم يكون حكى على اللي حصل قبل كده لحد يعرفه أو بيثق فيه واستغل كلامه معاه في إنّه يعمل عملته.

ثم ابتسم وهزّ كتفيه وهو يرفع يديه للأعلى بكل ثقة، قائلًا:

- واللي حسبته لقيته.

أُعجب أمير بفطنة حسان ويقظته، ثم ابتسم وهو ينظر ناحية الساعة في يده ليجد أن الوقت قد تأخر كثيرًا وقد قاربت الساعة على الثانية والنصف فجرًا فقام من مكانه لينهض سريعًا وهو يقول:

- يا نهار أبيض... أنا اتأخرت ولازم ألحق أروّح.

فقام كامل ليمسكه من يده ويوقفه وهو يحدثه، قائلًا:

- انت مش هتروّح يا أمير الوقت اتأخر.

ثم التفت إلى حسان وهو يكمل كلامه:

- انت وحسان هتباتوا معايا النهارده في الدوار.

ثم نظر إلى خارج سور الدوار في شرود ليقول:

- الدنيا ليل والطريق ضلمة ومنعرفش مين اللي ممكن يكون مستنيكم فيه.

التفت أمير لينظر هو الآخر إلى الخارج ويحدق في الطريق المظلم في خوف، ثم نظر إلى كامل وهو يومئ برأسه موافقًا على المبيت، فما قاله كامل كان كفيلًا بأن يقتنع بالمبيت عنده حتى مطلع النهار.

ثم عاد كامل ليتكلم في أسى وهو يقول:

لو كان نعيم ـ الله يرحمه ـ عايش كنت خليته يوصلكم للبيت، بس بعد اللي حصل مش ممكن أخليكم تروّحوا في الوقت المتأخر ده.

صمت حسان عن الكلام لا يجد ما يقوله وهو ينظر إلى عينا كامل اللتان امتلأتا بالحزن وهو يخاطبهما، ثم أومأ برأسه هو الآخر موافقًا على ما طلبه كامل منهما، فدخل الجميع

إلى الدوار وصعد كامل بهما إلى الطابق الثاني ليصطحبهما إلى غرفة نوم معدّة للضيوف بها سريران ودولاب كبير ليدخلا ليريحا جسديهما ويناما، ثم أغلق الباب عليهم وتحرك نحو غرفته ليدخل إليها ويلقي بجسده على سريره سابحًا في حزنه الذي لا ينتهي.

* * * *

الفصل الواحد والعشرون

"فجر يوم جديد"

وفي الصباح فتح حسان عينيه من نومه على صوت أمير وهو يهز جسده ليوقظه، قائلًا:

- حسان.. حسان.. اصحى.

التفت حسان إليه بتكاسل وهو ينظر إليه ليسأله:

- هي الساعة كام؟

تحرك أمير نحو نافذة الغرفة وهو يجيبه:

- الساعة حداشر.. قوم.

نهض حسان ليجلس على السرير وهو يدعك عينيه بيديه في نعاس، بينما فتح أمير النافذة لتسطع الشمس بضوئها داخل الغرفة، فأغمض حسان عينيه في ضيق لينظرَ ناحية أمير ليجده ينظر من النافذة نحو الخارج فسأله مجددًا:

- هو كامل صحي؟

فأجابه أمير في هدوء وهو ينظر من النافذة ويقول:

- كامل قاعد في الجنينة أهو.

نهض حسان من سريره وتحرّك نحو باب الغرفة ليفتحه ثم همّ بالخروج وتبعه أمير لينزلا على السلم متّجهيْنِ للخارج

حتى وصلا إلى كامل الذي كان جالسًا على كرسي في الحديقة في شرود، وما إن اقتربا منه حتى التفت إليهما مبتسمًا ليقول:

- صباح الخير.. نمتوا كويس؟

فأجابه حسان:

- أنا نمت علطول الصراحة.

بينما مازحه أمير كعادته ليقول:

- انت عارفني أنا بحط راسي أدلق.

ابتسم كامل لهما ليعود، قائلًا:

- ثواني والفطار هيجهز.

ثم التفت نحو الدوار لينادي على محروس، ولكن باغته أمير بالصياح عاليًا:

- محروووس.. الفطار يا محروس.

ضحك كامل مما فعله أمير ليحدّثه، قائلًا:

- الله يسامحك يا أمير.. ضحكتني وأنا مليش نفس أضحك.

فضحك أمير وخبط يده في كتف كامل ليمازحه، قائلًا:

- أيوه كده يا شيخ اضحك شوية.

ثم جلس أمير وحسان على الكراسي الموجودة بجوار كرسي كامل في صمت ليعمَّ الهدوء على المكان لثوان ثم بدأ حسان يتكلم ليسأل كامل قائلًا:

- مفيش أخبار عن اللي حصل امبارح؟

فنظر كامل نحوه ليجيبه بنرة هادئة ويقول:

- لأ فيه.. الليلة كتب كتاب فاتن على ابن عمها والفرح هيتعمل كمان يومين وكلنا معزومين.

فنظر إليه أمير باستغراب ليسأله:

- هيجوزوهم لبعض؟!

تعجّبَ كامل من سؤال أمير له ليجيبه:

- ده اللي كان لازم يحصل بعد العملة اللي عملها محمود.. الحمد لله إنه نفد من إيد عماد امبارح وهرب على بيت أبوه والعيلتين قعدوا مع بعض ولقوا إن الحل الوحيد للي حصل إن محمود يتجوز بنت عمه.

فتكلم حسان مخاطبًا كامل مرة أخرى ليسأله عما فاته من أحداث، حيث لم يكن هناك وقت أو فرصة ليعرفها بسبب الأحداث التي جرت سابقًا ووفاة العمدة والد كامل:

- انت صحيح محكتليش إيه اللي حصل لما رحتوا للشيخ رزق!

فحكى له كامل ما حدث هناك وطلب الجن للشيخ رزق في أن يصرف النظر عن الزواج من جناين، فتقدّم حسان بجسده للأمام وهو يفكر، قائلًا:

- طب ليه الجن طلب منه كده؟ وإيه معنى إنه جاي هنا ضيف لحد ما يخلص اللي جاي عشانه؟

ثم عاد ليرجع ظهره للوراء وهو يقول في حيرة:

- أنا مش فاهم حاجة.

صمت الجميع مرة أخرى في حيرة من أمرهم والكل يحاول فهم ما السبب وراء طلب ذلك الجن، فانزعج أمير من كثرة التفكير في محاولة فهم الأمر فحاول فتح موضوع آخر فنظر إلى كامل ليسأله:

- طب والنهارده هنروح لمين؟

ثم نظر للأعلى وهو يحاول استرجاع اسم الرجل في ذهنه حتى تذكره، فالتفت لحسان وهو يرفع يده للأعلى، قائلًا:

- آه.. افتكرت اسمه سليمان تقريبًا.

ثم التفت إلى كامل ليستفهم منه الموضوع فسأله، قائلًا:

- ده إيه قصته ده يا كامل وهنروحله امتى؟

اعتدل كامل في جلسته ليحكي لهم عمّا يعرفه، قائلًا:

- عم سليمان ده راجل كبير في السن، كان بيشتغل معانا

من وقت ما كنت صغير، وهو اللي بيقبض العمال الفلوس وفي اليوم اللي راح زار فيه جناين بعد الشغل مجاش اليوم اللي بعده.

ثم عاد ليكمل:

- وفي اليوم التاني قلت أروحله بالليل أعرف مجاش ليه وأطمن عليه، ولما رحتله البيت وخبطت عليه مراته هي اللي فتحتلي وكان هو برة فمكنش ينفع إنها تدخلني، لكنها اتكلمت معايا بسرعة قبل ما هو يجي وقالتلي إنها في مصيبة، ولما سألتها إيه المشكلة قالتلي إنها حاسة إن اللي معاها ده مش جوزها، هو شكله آه لكن تصرفاته وكلامه مخلينها متأكدة إن اللي عايش معاها ده واحد غريب عنها متعرفوش.

نظر إليه أمير بفضول ليسأله:

- طب وده معناه إيه؟!

هزّ كامل كتفه لا يدري ماذا يقول ثم عاد ليتكلم، قائلًا:

- ممكن يكون متغير معاها لأي سبب أو...

فقاطعه حسان سريعًا:

- أو ملبوس.

التفت الاثنان لحسان سريعًا فأكمل كلامه:

كل اللي زاروا جناين صابهم جن، وكون مرات الراجل حاسة إن اللي معاها ده مش هو جوزها ممكن يكون ده معناه إن جوزها لابسه جن وعايش جواه وبيتصرف وبيتكلم من خلاله..

فنظر كامل إليه باهتمام ليخبره، قائلًا:

- عشان كده احنا محتاجين نتأكد الأول.

فُتح باب الدوار حينها ليخرج منه محروس ممسكًا بصينيّة كبيرة بها طعام ومشى نحوهم بتأنّي حتى وصل إليهم ليضعها على الطاولة أمامهم، فنظر كامل إلى الطعام من أمامه ثم عاد ليتابع كلامه ويقول:

- احنا نفطر وبعد كده نقوم نروحلهم البيت.

تناول الجميع الطعام وبعد أن انتهوا تحركوا للذهاب إلى بيت سليمان سيرًا على الأقدام، فلم يكن كامل ينوي حينها أن يقترب من أيّة بهيمة أو دابة حتى انتهاء بلاء الجن عنهم خوفًا من أن يلقى مصير والده ونعيم هو الآخر، واستمروا في السير حتى وصلوا إلى بيت سليمان فطرق كامل الباب لتفتح له الحاجة نعمة زوجته، فخاطبها كامل بهدوء ليسألها:

- صباح الخير يا حاجة، عم سليمان موجود؟

فأومأت برأسها لتجيبه:

- آه موجود.. اتفضلوا.

فتحت زوجه الرجل الباب لهم ليدخلوا، فقادتهم نحو غرفة ليجلسوا فيها ثم حدثتهم، قائلة:

- هو نايم.. ثواني هروح أناديه لكم بسرعة.

اتجهت من مكانها إلى الغرفة التي ينام فيها زوجها لولا أن قاطعها كامل سريعًا وهو يقول:

- استني يا حاجة نعمة.

فتوقفت لتلتفت إليه فحدثها بصوت خافت وهو ينظر نحو الغرفة الأخرى:

- احنا محتاجين نتكلم معاكي الأول.

فنظرت هي الأخرى نحو غرفة زوجها بتوتر ثم أومأت له برأسها لتقول بصوت خافت:

- حاضر.

تقدمت في صمت لتجلس على كرسي بينما جلس الثلاثة على أريكة من أمامها، فمال كامل للأمام محدّثًا إياها بصوت خافت بعد أن عرّفها على من معه ثم همّ ليسألها:

- انتي لسه في المشكلة اللي حكتيهالي قبل كده؟

فأومأت برأسها سريعًا في خوف موافقة على كلامه، فصمت للحظات وهو يفكر ثم عاد ليحدثها:

- طب احكيلنا بالظبط على اللي بيحصل.

تحدّثت الحاجة نعمة بنبرة خوف، فقالت:

- اللي جوة ده مش سليمان جوزي أنا متأكدة.. أنا عارفة جوزي كويس لا ده كلامه ولا دي تصرفاته معايا، بقى علطول مش عايز يتكلم معايا أو حتى يبصلى كأنه واحد غريب عني ميعرفنيش.

ونظرت خلفها سريعًا نحو غرفة زوجها في خوف ثم عادت لتكمل بصوت خافت وتقول:

- سليمان بقى بيخرج كل يوم في نص الليل وميرجعش غير قبل الفجر، وطول الوقت وهو في البيت يا إما نايم طول اليوم يا إما صاحي وقاعد على سريره سرحان وباصص قدامه، حتى الأكل اللي بعملهوله مبقاش بيقرب منه ولا بيدوقه.

ثم بدأت تفرك يديها في بعضهما بتوتر شديد وعادت لتتكلم في حرج وهي تقول:

- وسليمان جوزي راجل كبير وصحته على قده، بس دلوقتي رجع كأنه شاب صغير وبقى بيطلب مني حاجات أنا وهو نسيناها من زمان، وأنا ست كبيرة ومبقتش أقدر على اللي بيطلبه مني.

ثم بدأت في البكاء وهي تكمل، قائلة:

- أنا بقيت عايشة في عذاب.. عايشة مع راجل معرفوش

ولا هو يعرفني.

نظر كامل لحسان وأمير من جواره ثم التفت عائدًا إليها ليقول:

- متقلقيش يا حاجّة.. احنا إن شاء الله هـ...

قاطع كلامه حينها صوت عالٍ قادم من الغرفة الأخرى:

- انتو بتعملوا إيه هنا؟

انتفض الجميع في أماكنهم ليلتفتوا سريعًا نحو الغرفة الأخرى، فوجدوا سليمانَ واقفًا عند باب الغرفة وهو يستشيط غضبًا، ثم توجه نحوهم وهو ثائر حتى وصل إليهم ليقف بجوار زوجته ينظر إليها في غضب، فتكلمت زوجته وهي متوترة لا تدري ما تقول:

- العمدة كامل جه هو وصحابه عشان...

وفجأه أطاح سليمان يده ليلطم وجه زوجته بقوة وهي تتكلم لتسقط من مكانها إلى الأرض ممسكة بوجهها من الألم، فقام الجميع من أماكنهم في صدمة مما حدث، فنظر الرجل لهم غاضبًا وهو يصيح عاليًا:

- اطلعوا برة البيت.

نظر الجميع إليه في خوف وكاد كامل أن يتكلم فأشار الرجل بيده نحو باب البيت صائحًا في غضب:

- اطلعوا برة.

تحرك الجميع في خطى سريعة خارج الغرفة متجهين للخارج، ففتح حسان باب البيت ليخرج منه وتبعه أمير ومن خلفهما كامل، ليمسك بمقبض الباب ليقفله وهو ينظر إلى الداخل على الرجل الذي كان واقفًا ينظر نحوهم بينما زوجته ملقاة على الأرض بجانبه.

وقف الثلاثة خارج البيت في صمت محاولين استيعاب ما حدث بالداخل، فنظر كامل إليهما غير مصدق ما حدث بالداخل ليقول:

- يلا بينا نمشي من هنا.

تحرك الجميع عائدين إلى الدوار وبمجرد أن ابتعدوا عن بيت سليمان بقليل حتى تحدث أمير ليسألهم:

- تفتكروا اللي شفناه جوة ده معناه إيه؟

هزّ كامل كتفيه في حيرة وهو يقول:

مش عارف يا أمير، عم سليمان طول عمره راجل غلبان، لا عمري شفته بيزعق أو متعصب ولا في يوم سمعت إنه ضرب مراته!

ثم أكمل وهو ينظر على الطريق من أمامه في شرود:

- وتصرفه معانا وطرده لينا ده شيء مش مفهوم.

فالتفت أمير إلى حسان ليسأله:

- هو كده ممكن يكون ملبوس؟

فأجابه حسان في هدوء:

- هى كل اللي قالته إنه اتغير معاها، لكن أنا مقدرش أحكم من اللي شفته ده إنه يكون ملبوس ولا لأ.

فخطر على بال أمير فكرة فبادر بها، قائلًا:

- مش جايز إنه يكون اتجوز عليها ومبقاش طايقها؟

نظر إليه الاثنان باستخفاف، فحاول أن يبرر وجهة نظره وهو يمتعض، قائلًا:

- هي مش بتقول إن صحته ردت فيه؟ وإنه بيخرج ويرجعلها وش الفجر!

ثم أكمل وهو يضحك، قائلًا:

- أو يكون الراجل انحرف على كبر وبقى بيروح يسكر في خمارة ولا حاجة.

نظر إليه كامل في غضب، فلطالما كره في أمير مزاحه الثقيل الذي يلقيه في أوقات لا تحتمل الهرج فيها، فخاطبه مستخفًا بما قاله ليقول:

- خمارة إيه بس يا أمير اللي هيروحها انت كمان!

فنظر إليه أمير وهو يهز كتفيه ليجيبه:

- صدقني ممكن.

فأشاح كامل بنظره عنه ناظرًا للأمام وهو يقول:

- يبقى الحل الوحيد عشان نتأكد من اللي بيحصل إن احنا نراقبه ونشوف بيروح فين بالليل.

أومأ حسان برأسه موافقًا على ما قاله كامل ثم أكمل الجميع طريقهم عائدين إلى الدوار لينتظروا قدوم المساء ليبدؤوا حينها عملية مراقبته.

* * * *

الفصل الثاني والعشرون

"المراقبة"

الساعة الآن قد قاربت منتصف الليل، وأمام بيت سليمان وبالتحديد في الأرض الزراعيّة القريبة من بيته، جلس الثلاثة وسط الزرع دون حراك يراقبون البيت في صمت، كانوا قد جلسوا هناك منذ ساعتين منتظرين خروج الرجل منه، فشعر حسان بالملل الشديد من طول انتظارهما لينظر إليهما، قائلًا:

- احنا قاعدين هنا من الصبح.. أنا زهقت.

فرد عليه كامل في حنق وهو يضرب الناموس من على وجهه، قائلًا:

- خلينا قاعدين لحد ما نشوف أخرتها.

فاقترب أمير بوجهه من كامل، قائلًا:

- مش يمكن يكون اتخانق مع مراته التانية ومش رايحلها النهارده؟!

نظر إليه كامل بغضب ليقول وهو ثائر فيه:

- أمير.. لو زهقت قوم روّح.

نظر إليه أمير في حرج ثم نظر من حوله على المكان وظلمته في توتر ليجيبه:

- لا أروّح ازاي؟! خليني هنا معاكم.

- كامل بص بسرعة.

قاطعهما صوت حسان فالتفت كامل سريعًا ناحية بيت سليمان ليجد أن الباب قد فُتح وهمّ الرجل بالخروج منه في هدوء ومشى في الطريق الذي أمام بيته، أخذ الثلاثة يراقبونه وهو يمشي على الطريق وقد بدأ في الابتعاد عن مرمى بصرهم فتحركوا ببطء ليتتبعوه من بعيد حريصين على ألا يكتشف الرجل أمرهم.

وظلّ الرجل ماشيًا لبعض الوقت حتى دخل إلى أرض زراعيّة على يمينه، فتحرك الجميع بسرعة ليتتبعوه بنظرهم من الأرض الأخرى المقابلة لها على الطريق، وقد لاحظو أنّ الرجل أثناء مشيه كان ينظر في الأرض من أمامه يمينًا ويسارًا باحثًا عن شيء هناك حتى توقف فجأة في مكانه وكأنه وجد ما يبحث عنه، ثم تحرك سريعًا وسط الزرع كأنه يطارد شيئًا ما ويحاول الإمساك به، ومن الأرض الأخرى حاول الجميع مراقبته في تركيز لمعرفة ماذا يفعل.

وفجأة ظهرت عِرسة من خارج الزرع هناك لتجري على الطريق، فتسمر الجميع في أماكنهم وهم ينظرون إلى الرجل وقد اندفع من وسط الزرع ليقفز بقوة نحو العِرسة ويحاول التهامها، لم يصدّقْ كامل عينيه حينها وهو يُشاهدُ الرجلَ وهو يحاول التهام العِرسة بأسنانه في توحّشٍ، بينما أخذت

العِرسة تصرخ وهي تحاول خربشةَ وجْهِهِ بقوّةٍ وهي تتلوى من الألم، فظلّ الرجلُ ينهش فيها بأسنانه غير مبالٍ بوجهه الذي امتلأ بخربشتِها وعضّها له حتى توقفت العِرسة عن الحركة تماما.

ظلّ الجميع يراقبونه وهو يجلس القرفصاء ويمسك بيديه جسد العِرسة وينهشه في نَهم كحيوانٍ بريٍّ يتلذّذُ بلحمِ فريستِهِ.

لم يكن الموقف يحتمل حدوث شيء أسوأ مما هم فيه، فأرجع كامل جسده للخلف ببطء وأمسك بكتف حسان كإشارة له ليتبعه للخلف ليبتعدوا عن المكان، ففهم حسان مقصده فأشار هو الآخر لأمير من جانبه بيده ليتبعا كامل، ومشى حسان خلف كامل ومن خلفهما أمير، وبمجرد أن همّ أمير بالتحرك حتى نظر خلفه في فضول ناحية سليمان ليرى ماذا يفعل فتعثر في قدم حسان من أمامه ليقع على الأرض بقوة، فنظر سريعًا في خوف نحو كامل وحسان اللذين كانا ينظران إليه هما الآخران في ذهول لا يصدقان ما حدث.

انتبه الرجل لصوت سقوط أمير على الأرض والذي كسر صوت الهدوء المحيط بالمكان فجحظت عيناه غضبًا وقد أدرك أنّ هناك من يتتبّعه، فاندفع من مكانه راكضًا على يديه وقدميه وهو يزمجر كحيوان مسعور متّجهًا نحو صوت السقوط، فجرى أمير في هلع وهو يصرخ عاليا:

- اجروا بسرعة.

انطلق الثلاثة يركضون برعب يسابقون الريح متوغلين داخل الأرض الزراعيّة، بينما سمعوا من خلفهم صوت الرجل وهو يركض وراءهم على قوائمه الأربعة مزمجرًا في غضب وكأنه يجري وراء فريسته القادمة، فأخذوا يركضون وهم يسابقون الريح دون أن يلتفتوا خلفهم، حتى ظهرت من أمامهم ترعة صغيرة تقع بعرضها عند نهاية الأرض الزراعيّة بخطوات، فاستمروا في الركض نحوها ثم قفزوا بداخلها محاولين التحرك في صعوبة بها وقد تخطى الماء نصف أجسادهم وهم يحاولون عبورها حتى خرجوا منها، وأكملوا الركض مجدّدًا ليقفزوا في حقل من الذرة من أمامهم واختبؤوا بداخله وهم يلهثون أنفاسهم، ثم أخذوا يراقبون الأرض الزراعيّة في الناحية الأخرى من الترعة في ترقب آملين أن يكونوا قد أضلوه، ولكن ظهر الرجل فجأة بعد أن خرج منها وقد عاد ليقف على قدميه مجددًا في هدوء وهو ينظر من حوله باحثًا عنهم.

ظل الرجل ينظر من حوله في توجس وهو يتحرك للأمام ببطء حتى وصل إلى الترعة من أمامه والتي قطعت عليه طريقه، فتوقف قبلها بخطوات قليلة ونظر نحوها للحظات ثم نظر أمامه ناحية حقل الذرة في ترقب وكأنه شعر أن من كانوا يتتبعونه يختبئون هناك، ومن الناحية الأخرى كان الثلاثة ينظرون إليه من وسط أعمدة الذرة العالية منتظرين

خطوته القادمة.. فتسمّرَ الجميع في ذعر غير مصدقين ما قد فعله حينها.

تحرك الرجل ناحية الترعة ليرتفع جسده في الهواء عابرًا الترعة دون أن تلمس قدميه، بينما ظل يرتفع للأعلى حتى أصبح يعلو عن الأرض بأمتار وهو ينظر في غضب في أنحاء الحقل من تحته باحثًا عنهم وهو يحلق في الهواء.

كان الجميع ثابتين في أماكنهم دون أن ينبس أحدهم بكلمة، فكان حسان ينظر تحته نحو الأرض غارقًا في عرقه من الخوف بينما كان كامل ينظر أمامه في تركيز وهو يضع يده على فم أمير الذي كان يغمض عينيه وهو يرتجف من الخوف.

كان الرجل يبحث بعينيه عنهم في الحقل في ترقب، ثم بدأ يتحرك ناحية الأمام طافيًا في الهواء ليكمل بحثه عنهم حتى ابتعد دون أن يدرك مكانهم.

ظل الثلاثة مختبئين في مكانهم دون حراك لساعات حتى شارف الفجر على البزوغ، فتحرّكوا في توتر ليخرجوا من الحقل فنظر كامل إليهما وقد بدأت ملامح القلق تنجلي من على وجهه، قائلًا:

- يلا بينا نرجع على الدوار بسرعة.

أومأ الاثنان له برأسهما سريعًا وأخذ الجميع في الركض على الطريق متجهين نحو الدوار.

الفصل الثالث والعشرون

"الملبوس"

ظلّ الثلاثة يركضون على الطريق حتى وصلوا إلى الدوار فعبروا سوره متجهين للداخل، ثم توقف الجميع في الحديقه وهم يلهثون في تعب من شدة الإرهاق، فالتفت كامل لحسان وهو منحني الظهر يحدثه لاهثًا ليسأله:

- هنعمل إيه دلوقتي؟

فنظر إليه حسان ليجيبه بأنفاسٍ متقطّعة، قائلًا:

- الجن اللي لابس الراجل ده لازم يرحل.. والنهارده.

أومأ كامل برأسه وهو يغمض عينيه ويبلع ريقه محاولًا التقاط أنفاسه ليقول:

خلاص احنا نخش ننام وأول ما نصحى نروحله البيت.

فنظر أمير إلى كامل وقد بدا عليه التوتر، قائلًا:

- انتو هتروحوا النهارده عشان تصرفوا الجن عنه؟ بس ده ممكن..

مد كامل يده للأمام ناحية أمير ليقاطع كلامه في ضيق وهو يحاول التنفس بانتظام ليقول:

- أنا وحسان اللي هنروحله يا أمير وانت إبقى استنانا هنا.

كان كامل يعرف ما سوف يقوله أمير مسبقًا، فهو يدرك جيّدًا أن أمير سيحاول كعادته التملص من الموقف فقرر كعادته أيضًا رفع الحرج عنه وإعفائه من تلك المهمة قبل أن يطلب هو ذلك، ثم توجه كامل بقوى خائرة نحو الباب ليتبعه الاثنان إلى الداخل ويصعد الجميع لغرفهم ليسقطوا في نوم عميق.

وبعد مرور ساعات على نومهم استيقظ أمير من نومه ملتفتًا في تكاسل نحو سرير حسان فلم يجده به، فأفاق من نومه لينظر إلى ساعته فوجد أنه لم يمض إلا ساعات معدودة على نومه، فنهض من سريره ليخرج سريعًا من الغرفة وينزل على السلام وهو ينادي على محروس، فخرج محروس من المطبخ فور سماعه لصوت أمير ناظرًا نحوه حتى وصل أمير إليه فقال له:

- كامل وحسان صحيوا؟

فأجابه محروس:

- حسان وكامل بيه خرجوا من شوية وقالولي أقولك لما تصحى إنك تستناهم هنا لحد ما يرجعولك.

فصمت أمير لثوان قبل أن يحدثه في حرج:

- طيب تمام.. حضرلي الفطار وهتهولي في الجنينة لو سمحت.

أومأ محروس برأسه إليه ليجيبه:

- ثواني والفطار يكون جاهز.

تحرك محروس عائدًا نحو المطبخ مجددًا ليعُد له الطعام، فتوجه أمير ناحية باب الدوار متّجهًا إلى الحديقة لينتظر فطوره وهو ينظر ناحية سور الدوار سائلًا في نفسه عما يفعله الاثنان الآن.

وفي داخل بيت سليمان وبالأخص داخل غرفته استيقظ سليمان من نومه على أحد يلكزه في قدمه بقوة فاستفاق سريعًا ليجد حسان واقفًا بجانب سريره على اليمين يحدق به في غضب، بينما جلس كامل على أريكة في جانب الغرفة في الناحية الأخرى على يسار السرير وبجانبه الحاجة نعمة ينظرون نحوه في صمت، فحاول التحرك، ولكنّه لم يستطع، فنظر على جسده ليجد نفسه مقيدًا بالحبال بإحكام في السرير بينما يداه بجوار جسده، فحاول التحرك مرة أخرى وهو يزمجر في غضب، ولكن دون جدوى، فاقترب منه حسان ليسأله في حزم:

- انت عايز إيه من سليمان؟

فنظر سليمان إليه وهو يبتسم في خبث، قائلًا:

- طب ما أنا سليمان.

فقاطعه حسان في غضب ليقول:

- أنا عارف انت مين.. جن خسيس وجبان مستخبي في جسم الراجل المسكين.

ضحك سليمان بصوت عال جعل زوجته ترتجف من الخوف قبل أن يقول:

- أنا عمري ما كنت جبان.

ثم نظر إليه وهو يزمجر غضبًا:

- أنا غبوق سليل أقوى عشاير الجن.

وضعت الحاجة نعمة يديها على وجنتيها في ذهول بمجرد سماعها لتلك الكلمات، فطبطب كامل عليها ليهدئها وهو ينظر على ذلك الجن من أمامه، فتعالت ضحكات غبوق لينظر إليها، قائلًا:

- أنا قلت من معاشرتي ليكي إنك عرفتي إن الصحة دي مش ممكن تبقى صحة جوزك أبدًا.

أثارت تلك الكلمات حفيظة كامل، فغضب وكاد يهم بالوقوف من مكانه فأشار له حسان بيده سريعًا وهو ينظر إليه في حزم، فعاد كامل ليجلس في مكانه مجددًا ناظرًا بغضب نحو الجن، فنظر غبوق له هو الآخر قائلًا في تهديد:

- انت متعرفش لما أفك نفسي هعمل فيها إيه قدامكم.

فحاول حسان صرف ذهن غبوق عن كامل فصاح به، قائلًا:

- إيه اللي جابك هنا.. انطق.

فنظر غبوق له بابتسامه صفراء وهو يجيبه، قائلًا:

- اللي جابني هو اللي جاب التانيين.

تسمّر حسان في مكانه بعد سماع ما قاله غبوق لهم، بينما مال كامل للأمام في اهتمام منتظرًا معرفة ما الذي يقصده بكلامه، فتحرّك حسان نحوه خطوة أخرى وتكلم ليصيح به ويقول:

- إيه اللي جابك هنا؟ انطق.

أطبق غبوق فمه في صمت وهو يبتسم لحسان بخبث رافضًا الحديث أكثر من ذلك، ففهم حسان أنّ عليه أن يتبع طريقة أخرى لجعله يتكلم، فحدث كامل دون أن يلتفت إليه وهو ينظر لغبوق بإصرار ليقول:

- كامل.. هات إزازة المايه.

انتبه غبوق لما قاله حسان فنظر إلى كامل سريعًا ثم التفت مجدّدًا إلى حسان ليحدثه في غضب وهو يسأله:

- انت هتعمل إيه؟

وهنا قام كامل سريعًا وتحرك للخارج بينما تحدث حسان في ثقة ليجيبه:

- أنا عرفت من الحاجّة نعمة إنك مبتشربش مايه في البيت

ولا بتستحمى.

ثم اقترب بوجهه ناحية وجه غبوق الذي كان يزمجر في غضب ليقول بثقة:

- انت شكلك مبتحبش المايه.

عاد كامل سريعًا ممسكًا بزجاجة مياه وأعطاها لحسان، ففتح غطاء الزجاجة وأمسك بزجاجة الماء عاليًا في الهواء فوق رأس غبوق وهو يقول:

- آخر فرصة ليك.

زمجر غبوق مجدّدًا رافضًا التحدث، فسكب حسان بضع قطرات ماء على وجهه فزاد من زمجرته وهو يحرك رأسه بقوة يمينًا ويسارًا في غضب، فصاح حسان به مجددًا:

- اتكلم.

تحولت زمجرة غبوق حينها إلى ضحكات بسيطة ثم تعالت لتصبح ضحكات عالية أثارت الخوف في قلوبهم ثم نظر إلى حسان الذي تعجب من رد فعله، فحدثه باستهزاء وهو يقول:

- انت فاكر إنك كده بتأذيني؟ انت كده بتغضبني أكتر.

ثم ابتسم بخبث مجددًا ليقول:

- لكن أنا أقدر أئذيه هو.

اتسعت عينا غبوق وهو يبتسم لحسان، ثم ضغط بأسنانه على شفته السفلية بشدة حتى بدأت تنزف منها الدماء، ثم أخذ يضغط بأسنانه أكثر فأكثر حتى بدأ جزء منها يتمزّقُ لتنسال الدماء منها بشدة لتسيل على ذقنه وعنقه وهو يهتز من الضحك ناظرًا إلى حسان، فوقف حسان لا يدري ما العمل، وفجأة تأوه غبوق وهو يغمض عينيه ويبكي من الألم، فشعر الجميع من تعبيرات وجه الرجل وتألمه أن من أمامهم الآن هو سليمان الحقيقي، فقامت زوجته من مكانها سريعًا وهي تنظر نحو زوجها في حرقة، فأخذ الرجل ينظر إليها وهو يبكي من شدة الألم، فأمسكها كامل من كتفها ليمنعها من الذهاب نحو زوجها الذي كان يتعذب أمام عينيها.

وأثناء بكاء سليمان الشديد تحول بكاءه تدريجيًا لابتسامة بسيطة ثم ازداد ليصبح ضحكًا عاليًا، ثم نظر إلى حسان، قائلًا:

- أنا أقدر أعذّب فيه زي ما أنا عايز لحد ما يموت.

ثم بدأ غبوق يحرك كف يده اليسرى وهو يبتسم في خبث، ليمسك بإصبع يده الوسطى إصبع السبابة ويثنيه بقوة حتى كسره جانبًا مصدرًا صوت انكسار عظمة الإصبع ليؤلم الصوت كل من سمعه، فصاحت به زوجة سليمان في انهيار وهي تتوسل إليه:

- أبوس إيدك سيبه في حاله.

نظر غبوق لها وقد جحظت عيناه في غضب ليقول:

- أنا هموته قدامك حالا لو مفكتونيش.

فصاح به حسان في توتر مهددًا إياه:

- أنا هقرأ عليك عهود تحرقك لو مخرجتش منه.

فضحك غبوق له وهو يقول:

- ساعتها جسم سليمان مش هيستحمل موتي جواه وهيموت معايا.

وأكمل ضحكاته العالية مستهزئًا بتهديدات حسان له، ولكن حينها قاطع ضحكاته صوت كامل وهو يقول له في غضب:

- قولنا طيب عايز إيه عشان ترحل عن سليمان واحنا نعمله؟

فالتفت إليه غبوق وقد أتت إلى رأسه فكرة ما، فنظر نحوه وقد توقف عن الضحك ليجيبه في هدوء:

- أنا ممكن أرحل عن جسمه وأسيبه لحاله بس بشرط واحد.

نظر الجميع له منتظرين أن يكمل كلامه فتابع، قائلًا:

- حاجة واحدة لو ساعدتوني فيها هسيب جسم سليمان وهرحل عنه.

ثم نظر إليهم وعاد ليصمت وهو يبتسم في خبث فصاح كامل به، قائلًا:

- إيه هي؟ ما تقول.

فأجابه غبوق، قائلًا:

- إنكم تساعدوني أتجوز جناين.

خرجت تلك الكلمات كالصاعقة لتصيب الجميع بالذهول، فظلّ الجميع محدقين في غبوق وهو لا زال صامتًا يبتسم نحوهم في خبث، فأومأت الحاجة نعمه برأسها وهي تسرع للخارج، قائلة:

- حاضر، أنا هروح حالًا أبوس إيدها عشان..

قاطعها كامل سريعًا وهو يمسك بيدها ليوقفها وهو يحدثها في غضب:

- انتي رايحة فين؟ استني هنا لحد ما نفهم.

فوقفت بجانبه منتظرة أن ينتهي الأمر، لتسرع إلى الخارج لتتوسل جناين أن تقبل الزواج من غبوق ليرحل عن زوجها، فتكلم حسان مخاطبًا غبوق والفضول يكاد يقتله ليسأله:

- عايز تتجوز جناين بنت شادية؟

فأجابه غبوق، قائلًا في فخر:

- قصدك جناين بنت زوغران أقوى ملوك الجن.

فتح حسان فمه غير مصدق ما قاله غبوق، بينما اتسعت عينا كامل من هول ما سمعه مردداً:

- زوغران!

ثم عاد ليكمل في حيرة وهو يسأل غبوق:

- انت عايز تتجوز جناين ليه؟

لم يكن غبوق ينوي الإفصاح عن أي شيء لهما في بادئ الأمر، إلا أنه قد شعر أنهم قد يكونوا عوناً له ليستغلهم في نيل مراده، وخاصة لما بدر من زوج الرجل في الإسراع في تنفيذ أوامره لولا أن أوقفها كامل رافضاً تنفيذ أي شيء قبل أن يفهم ما يجري من حوله، فقرّر غبوق حينها أن يطلعهم على الحقيقة آملاً في أن يستغلهم فيما كان يسعى إليه منذ قدومه إلى القرية.

فبدأ غبوق في التحدث، قائلاً:

- مش أنا لوحدي اللي عايز أتجوزها.

فنظر كامل وحسان لبعضهما في استغراب ثم التفت كامل لغبوق ليفهم ما يقصده فسأله:

- قصدك إن كل الجن اللي جم في البلد عايزين بردو يتجوزوا جناين؟

أغمض غبوق عينيه وهو يومئ برأسه له وهو يبتسم ليوافق على ما سمعه، فقاطعهم حسان وهو يتحدث لنفسه في

شرود ويقول:

- عُرس الجان.

التفت كامل إليه سريعًا لا يفهم ما قاله، وقبل أن يتكلم ليسأله عن مقصده بادر حسان بالكلام مجددًا ليقول:

- أنا دلوقتي فهمت.

كاد كامل يجن من كم الغموض في كل ما كان يسمعه من حوله، فصاح على حسان وهو غاضب ليقول:

- فهمت إيه يا حسان؟ ما تقول وتفهمني.

أفاق حسان من شروده ليجمع شتات تفكيره ويجيبه:

- من ضمن الأسباب اللي بتقدر عشاير الجن إنها تيجي للأرض من غير استدعاء هي إنها تيجي تتقدم لسليل من نسب جواز الإنس من الجن.

لم يفهم كامل مجددًا أيّ شيء مما يقوله حسان، فكاد أن يتحدث لولا أن قاطعه حسان ليكمل له ما يعرفه عن عُرس الجان، قائلًا:

- فيه سحرة بيقدروا إنّهم يسخروا أقوى عشاير الجن عشان يساعدوهم في حاجات بقية الجن متقدرش تعملهالهم، زي إنهم يتنقلوا من مكان لمكان تاني في غمضة عين أو إنهم يقدروا يروحوا لعالم الجن ويزوروه أو يعيشوا فيه، بس كل ده بيبقى بعهد.. عهد جواز.

ثم عاد ليكمل:

- عهد جواز الإنس من الجن اللي سخره وساعتها وبجانب خدمة الجن للإنس بيقدر الاتنين إنهم يتنقلوا ما بين عالمنا وعالمهم، وبيقدر الجن إنه يتنقل ويحضر في أي وقت لعالم الإنس ويعيش فيه لو حب.

قاطعه غبوق ضاحكًا وهو يشير بإصبع سبابة يده اليمنى السليم يمينًا ويسارًا لحسان وكأنه يُذكره بشيء آخر قد نسيه، ليقول في خبث:

- وفيه مقابل تاني انت ناسيه.

فنظر له حسان وقد فهم مقصده فالتفت إلى كامل ليكمل في شرود:

- وساعات بينتج عن الجواز ده طفل ولو كان الطفل ده ولد بيعيش في عالم الإنس عادي ومبيبقاش ليه أي قوة أو سلطان من عالم الجن لكن لو اللي اتولد طفلة، بتمتلك ميزة، ميزة الجواز من حد من عالم الجن، وليها إنها تقبل بالجواز منه أو لا، ولو قبلت الجواز من حد منهم بتديله قدرة التنقل ما بين العالمين زي ما هو عايز وفي المقابل بردو بتقدر إنها تتنقل ما بين عالمنا وعالمهم وتعيش في أي مكان منهم.

حاول كامل تجميع ما قاله حسان في رأسه وهو يقول:

- انت قصدك إن شادية اتجوزت جن في مقابل خدمته ليها.. وإن بنتها تكون هي وسيلة أو فرصة تانية لحد من الجان في إنه يحضر للأرض وقت ما يعوز لو اتجوزها؟

أومأ حسان برأسه:

- بس لازم هي توافق على الجواز منه.

ثم تذكر سريعًا شيئًا آخر ليعود ويقول:

- ولو خلّفت منه طفلة بيكون ليها بردو نفس الميزة.

ثم أكمل بنبرة خوف، قائلًا:

- وبكده بيكون باب مفتوح ومبينتهيش.

فعاد كامل سريعًا ليسأله:

- بس ده في حالة إنها توافق على الجواز منه.

فأومأ حسان برأسه له موافقًا، فسأله كامل مجددًا:

- ولو رفضت الجواز من الجن؟

فأجابه حسان:

- بتنتهي دعوة الجن للأرض وفرصته في المجي لعندنا.

فالتفت حسان لغبوق، قائلًا في فضول:

- بس عشان يحضر الجن لخطبتها لازم تكون تمت السن اللي..

توقف حسان عن الكلام وقد أدرك الأمر كله فأكمل غبوق الكلام بدلًا منه وهو يبتسم:

- تكون تمت السن اللي يسمحلها بالجواز من حد منا!

ثم ضحك عاليًا لينظر لكامل محدقًا فيه وهو يقول:

- كلنا كنا موجودين يومها... أنا وزُريم ومكيول وغيرنا من عشاير الجن.

ثم تابع، قائلًا:

- كنا قاعدين وسطيكم وحواليكم وقت ما زرتوها انت وغيرك من الإنس.. محدش كان شايفنا ولا سامعنا حتى هي.

فنظر كامل إليه صائحًا في غضب:

- هي مش ممكن تقبل الجواز من حد منكم أبدًا.

غضب غبوق مما سمعه من كامل وبدأ يحاول التملص في قوة من ربطته فأخذ يتحرك بقوة يمينًا ويسارًا ثائرًا بينما كان السرير يهتز في عنف معلنًا عن تحطمه القريب، فخاف حسان من رد فعل غبوق إن تمكن من التملص من الحبال التي تقيده ويصبح طليقًا، أو الأسوأ أن يبدأ مجددًا في تعذيب الرجل العجوز الذي يسكنه حتى يقتله، فتكلم سريعًا محاولًا تهدئته ليقول:

- احنا موافقين.

فهدأ غبوق حينها وقد توقف عن الحركة وهو ينظر إلى حسان والابتسامة على وجهه، فأكمل حسان كلامه وهو يرجع خطوات للوراء مبتعدًا عن السرير في هدوء وهو يقول:

- احنا هنروح نجيبها دلوقتي ونقنعها إنّها تتجوزك.

صُدم كامل من انصياع حسان المفاجئ لتنفيذ أوامر غبوق في طواعية تامة، فصاح به في غضب، قائلًا:

- انت بتقول إيه يا حسان؟! الكلام ده مش هيحصل.

فأجابه حسان والمكر في عينيه وهو يمسك بكتفه ليقول له:

- دي هتبقى فرصة لجناين إنها تمتلك سلطان ونفوذ على كل اللي حواليها.

ثم التفت إلى غبوق مبتسمًا وهو يقول:

- وفرصة إن يبقالنا حليف قوي من الجن يساعدنا.

ابتسم له غبوق وهو يشعر بالسعادة مما يسمعه منه، فأكمل حسان كلامه له:

- احنا هنروح نجيبها ونجيلك.

فنظر غبوق لحسان وقد بدأ الشك يساوره فيما ينوي حسان فعله، وقد شعر

باحتمالية أن يكون حسان يخدعه أو أنه يماطله لسبب ما في نفسه فحدثه مهددًا إياه وهو يقول:

- وإن مجيتوش؟

فرد عليه حسان ليطمئنه ويقول:

- لو مجلنكش ابقى أعمل اللي انت عايزه في سليمان واقتله ساعتها لو حبيت.

ثم اقترب حسان من زوجة الرجل ليأخذ بيدها لتقوم من جلستها وتذهب معهم ليحدث غبوق، قائلًا:

- احنا هناخذ الحاجة نعمة معانا عشان تحاول تقنع جناين إنها تيجي.

ساور الشك غبوق مجددًا، فنظر نحوهم قائلًا:

- أنا هستناكوا بس لو مجيتوش...

وهنا أظهر غبوق وجه سليمان الحقيقي مجددًا وهو يتلوى من الألم مغمض العينين ويبكي بشدة، ثم عاد في الظهور مرة أخرى بطلته هو، قائلًا في حدة:

- هعذب في سليمان لحد ما يموت.

انهارت زوجة سليمان عندما رأت زوجها وهو يتعذب مرة أخرى، فبدأت تتحرك نحوه وهي تبكي، فأمسكها حسان من يدها ليقودها للخارج وهو يتكلم بهدوء:

- احنا عارفين انت تقدر تعمل إيه في سليمان كويس.

فتوقفت حينها زوجة سليمان في مكانها رافضة التحرك

وهي تنظر لزوجها وتبكي في حرقة لتقول:

- أنا مش هتحرك من هنا ولا هسيب جوزي معاه.

ثم التفتت إلى حسان قائلة في أسى:

- روحوا انتو وسيبوني هنا ولما تيجوا بجناين أنا هترجاها وهبوس رجلها كمان.

صمت حسان وهو ينظر إليها في حيرة ثم ترك يدها لتعود وتجلس على الأريكة بجوار سرير زوجها وهي تبكي في صمت، فهمّ الاثنان بالخروج من الغرفة وحسان ينظر لغبوق ليطمئنه:

- مش هنتأخر عليك.

توجه حسان وكامل نحو الباب ليخرجا من البيت، وبمجرد أن أقفل حسان الباب من وراءه حتى صاح كامل فيه غاضبًا:

- انت اتجننت يا حسان؟

نظر إليه حسان في حزم ليقول:

- يلا بينا بسرعة مفيش وقت.

ثم خبط يده في كتف كامل وهو يهمّ بالتحرك ليكمل:

- تعالى بس وأنا هفهمك كل حاجة.

أخذ حسان وكامل يمشيان بخطى سريعة على الطريق فحدثه كامل وسأله:

- فيه إيه يا حسان ما تفهمني؟

فأجابه حسان وهو ينظر أمامه بإصرار، قائلًا:

احنا قدامنا فرصة ننهي كل اللي بيحصل ده.

ثم التفت برأسه نحوه ليقول له:

- روح هات جناين وارجع بيها على الدوار، وأنا هروح على البيت بسرعة وهرجع أقابلك هناك.

لم يفهم كامل ماذا ينوي حسان أن يفعل، ولكنه وافقه على أية حال، ثم ركض متخطّيًا إياه ليذهب ناحية الطريق المؤدي إلى بيت جناين.

* * * *

الفصل الرابع والعشرون

"بداية النهاية"

كان أمير جالسًا في حديقة الدوار يشعر بالملل من طول انتظاره لكامل وحسان منذ أن خرجا في الصباح منذ ساعات، فأخذ ينظر نحو الطريق الذي يظهر من وسط السور المؤدي للدوار في شرود، ولكنه اعتدل سريعًا في جلسته وقد تراءى له من بعيد كامل ومعه جناين قادمين على الطريق نحوه، فوقف ينتظرهم حتى وصلا إليه.. فخاطب كامل في فضول ليسأله:

- عملتوا إيه؟

نظر إليه كامل وهو يلتقط أنفاسه ليشير ناحية باب الدوار وهو يتحرك نحوه ليقول:

- يلا نخش نتكلم جوة.

تقدم الجميع نحو الباب ليدخلوا منه حتى وصلوا إلى غرفة الضيافة، فارتمى كامل على الكرسي وهو يرجع ظهره في تعب ليسأل أمير:

- هو حسان لسه مجاش؟

نظر أمير له باستغراب وهو يجيبه:

- لأ مجاش.

ثم نظر إلى جناين في حيرة، قائلًا:

- هو فيه إيه؟

هزت جناين رأسها وهي تجلس على الأريكة تلهث أنفاسها لتجيبه:

- والله ما أعرف.. أنا مش فاهمة حاجة بردو.

قاطع كلامهما طرق شديد على الباب، فذهب محروس سريعًا ليفتح الباب ليدخل حسان إلى الداخل ويرمي جسده على الأريكة، فنظر أمير إليهم جميعًا لا يفهم شيئًا مما يحدث، فجلس هو الآخر على الكرسي من أمامهم ليسألهم:

- يا جماعة ماتفهوني إيه اللي بيحصل؟

ساد الصمت لدقائق والكل يستعيد أنفاسه من تعب الطريق، حتى ابتلع كامل ريقه ليتكلم ويحكي ما حدث في بيت سليمان، وطوال وقت حديثه كانت جناين جالسة في مكانها غير مصدقة ما تسمعه، وحين وصل كامل إلى الجزء الذي عرفوا فيه من هو أبوها حتى وقفت من مكانها وهي تتكلم في صدمة وقد اغرورقت عيناها بالدموع، قائلة:

- يعني أنا أبويا يبقى من الجن مش إنسان؟!

نظر الجميع إليها وهم يشفقون عليها لا يدرون ماذا يقولون لها، فاكتفى الجميع بالسكوت ليعم الصمت على المكان لبضع ثوان، وبعد ذلك اعتدل حسان في جلسته موجهًا

كلامه للجميع:

- أنا رجعت على بيتي عشان أتأكد من اللي قاله الجن لينا، وفتحت كتاب الكهانة عشان أقرأ فيه وأعرف أكتر عن جواز الإنس من الجن.

ثم عاد ليكمل تفاصيل ما قد عرفه من كتاب الكهانة وهو ينظر إلى جناين في حزن ويقول:

- في اليوم اللي اتولدتي فيه يا جناين اتولدت معاكي الدعوة.. دعوة للجن بالحضور لعالمنا في الوقت المناسب عشان يتقدموا لخطبتك.

ثم تابع، قائلًا:

- وفي اليوم اللي تميتي فيه عشرين سنة كان هو العمر المناسب لقبولك بالجواز من حد منهم، وفي اليوم ده اتفتحت بوابة عبور بينا وبينهم وحضر من خلالها أقوى سلالات عشاير الجن عشان ينولوا فرصة إنهم يعرضوا عليكي الجواز، واللي بينول موافقتك بيفوز بيكي وبيقدر يمتلك قدرة التنقل ما بين عالمنا وعالمهم وإنه يعيش في أي عالم منهم زي ما يحب.

تحدث أمير وهو يعدل نظارته من على وجهه في استغراب ليسأله:

- قصدك إن جناين بالنسبة لهم زي باسبور السفر؟

أومأ حسان برأسه لأمير موافقًا في أسى دون أن يتكلم، فنظر كامل إلى حسان وهو يتساءل، قائلًا:

- طب إيه كان سبب أذيتهم لينا؟

فرد عليه حسان ليشرح السبب ليجيبه، قائلًا:

- كل واحد من الجن لما حضر كان ليه تفكير معين في إنّه يكسب قبولها، الكل كان لسه قدامه فرصة يشوف بيها طريقة يتقرب بيها لجناين وينول رضاها، الكل خد وقته في التخطيط والتنفيذ.

ثم تابع كلامه وهو ينظر إلى كامل، قائلًا:

- في منهم اللي لما شافك يا كامل وانت بتتوسط لواحد من الإنس عشان يتجوز جناين، وقرر إنه يسكن ضلك ويشغلك عن الموضوع بأذيته ليك.. وفيه منهم اللي كان فاكر إنه لما يأذي اللي بتكرهه جناين هينول رضاها، ومنهم اللي لما عرف إنك كشفته وكنت عايز تصرفه عن عالمنا وتضيع عليه فرصته في إنه يتقرب منها حاول إنه يقتلك، وفيه منهم اللي جه ضيف عند الشيخ رزق عشان يصرف نظره في الجواز منها وسكن في بيته لحد لما يقدر يشوف هيعرف يتقرب منها ازاي.

ثم نظر للأمام في غضب وهو يتحدث، قائلًا:

- وفيه منهم اللي لبس عم سليمان يوم ما زارها، ولما عرفنا

حقيقته قرر إنه يعذبه عشان يجبرنا إننا نساعده في الجواز منها.

ثم صمت للحظات قبل أن يتكلم مجددًا وهو يقول:

- بس اللي أنا قريته كان أكتر من اللي قاله الجن بكتير.. غبوق مكنش عارف إن عندي الكتاب اللي يعرفني ازاي أخليهم كلهم يرحلوا من عالمنا وميرجعوش تاني.

فتوقف عن الكلام وهو ينظر إلى كامل ويبتسم له ليجده منتظرًا بفارغ الصبر أن يكمل كلامه ليعرف كيف يستطيعون صرف الجن عن قريتهم، فعاد ليكمل، قائلًا:

- الكتاب بيقول إن دعوة الجن بالحضور للجواز من الإنسيّة المولودة من نتاج جواز الإنس والجن بتنتهي في حالتين، الحالة الأولى إن الإنسيّة دي توافق على الجواز من حد منهم ويفوز بيها ساعتها سبب مجي باقي الجن لهنا بينتهي وبيرحلوا، والحالة التانية اللي بتنتهي بيها الدعوة هي إنها تقبل الجواز بحد من الإنس.. وبمجرد قبولها لعرضه بالجواز بتنتهي دعوة الجن وبيرحلوا عن عالمنا في الحال.

فحدثه أمير ليسأله، قائلًا:

- طب افرض جناين كان حد اتقدملها قبل ما تتم السن اللي بيه بتبتدي دعوة الجن؟

فأجابه حسان:

- لو كانت جناين قبلت تتجوز حد من البشر ساعتها مكنش هيبقى فيه دعوة للجن من الأصل.. عشان كده كان بيتحقق آخر ناتج من جواز الإنس والجن وخلفتهم لبنت، وهي إن الطفلة دي بتتلعن يوم ميلادها.. بتتلعن بإنها تتولد قبيحة ودميمة عشان محدش من الإنس يرغب فيها أو يتقدملها وبكده تكون الفرصة متاحة أكتر للجن في إنهم يفوزوا بيها.

صُعقت جناين مما سمعته من حسان وأخذت تتحسس وجهها في صدمة وهي تبكي بحرقة وتقول:

- يعنى كل اللي أنا فيه ده بسبب أبويا وأمي! حكموا عليا بإني أعيش بالشكل ده طول عمري!

وقف كامل من مكانه واقترب من جناين، قائلًا في أسى:

- متزعليش يا جناين من اللي انتي فيه، للأسف الناس اللي حواليكي حكموا عليكي من شكلك وسابوا شخصيتك البسيطة الجميلة.. أنا شايف إنك إنسانة طيبة عمرها ما فكرت في شر أو في إنها تأذي حد وده بيخليكي أحسن من كل اللي عايشين هنا.

كان أمير محتفظًا بشيء هامّ قد خطر في ذهنه منذ أن انتهى حسان من شرحه للموضوع، فقرر أن يفصح عنه أخيرًا ليلتفت ناحية كامل وحسان، قائلًا لهما:

- تفتكروا إن الجن النسّاخ اللي ظهرلي في هيئة غنيم العطار وأنا في إسكندرية، يبقى هو زوغران أبو جناين؟

نظر إليه الجميع في ذهول وقد نسوا ما حدث له في الإسكندرية وظهور الجن له فأكمل نظريته قائلًا:

- أصل إيه السبب اللي يخليه يظهرلي ويعرفني بقصة جناين ويخليني آجي لحد هنا؟

ثم أكمل وهو ينظر إلى جناين وهو يفكر، قائلًا:

- جايز إنه مكنش عايز لبنته إن يكون لها المصير ده.. جايز إنه كان نفسه في إني لما أروّح أقدر أكشف الحقيقة وأعرف أخلصك من اللي انتي فيه.

ثم تابع حديثه لها، قائلًا:

- جناين.. أنا عندي فكرة في حل ينهي كل اللي بيحصل من حوالينا، وبيه يرحل الجن اللي في البلد وبيأذي في أهلها.

ثم نظر إلى كامل وهو يكمل، قائلًا:

- أنا هبعد عنك يا كامل شر الجن اللي عايز يقتلك، وهبعد عن سليمان المصير المؤسف اللي مستنيه.

ثم عاد ليلتفت إلى جناين مجدّدًا وهو يتابع كلامه:

- هرحمك من مصير انتي مش عايزاه وهرحمك من ذُل وقسوة اللي حواليكي.

فتوقف حينها عن الكلام ليعمّ الصمت في المكان والكل

لا يدري فيما يفكر حتى وجدوه يتقدم خطوات للأمام نحوها ليسألها وهو يبتسم لها، قائلًا:

- تتجوزيني يا جناين؟

نظرت جناين إليه في ذهول بعد أن سمعت ما طلبه منها، فتسمرّت في مكانها واكتفت بالنظر إليه دون أن تنبس بكلمة، فبادرها بالحديث، قائلًا:

- أنا عمري ما شفتك وِحشة، بالعكس طيبة قلبك وبساطتك كانت دايمًا بتخليكي في نظري أجمل واحدة في المكان ده، أنا عارف إنك متعرفيش حاجة عني بس صدقيني لو قبلتي الجواز مني هفضل دايمًا أحاول أسعدك وأنسيكي العذاب والقسوة اللي عشتيهم طول عمرك، وأنا أوعدك قدام الكل إني هكون زوج مخلص وأمين.

ظلت جناين تنظر إليه لا تدري ما تقول، فهي لم تتوقع يومًا أن يطلب أحد يدها للزواج، وبالأحرى شخص ليس من هنا لا تعرف عنه إلا القليل.. ولكنها اعترفت بداخلها أنها لم تر منه سوى كل خير، ولكنه لا يزال شخصًا غريبًا عنها لا تعرفه.

لاحظ كامل التردد في أعين جناين، ولكنه وجد أخيرًا الحل الذي سيخلص الجميع مما هم فيه، وهذا بجانب حبه ومعزته لكلا الطرفين، فالمواقف التي جمعته بأمير جعلته يعرفه جيّدًا ويعرف معدنه الطيب، ولطالما اعتبر جناين بمثابة أخته

الصغيرة التي كان يأمل أن يأتي اليوم الذي يتقدم أحد لها فيه ليعوضها عما عانته في حياتها البائسة، فقرر أن يحاول إقناعها بقبول الزواج من أمير، فوقف هو الآخر ليتقدم نحوهما وأمسك بكتف أمير وهو ينظر إليها قائلًا:

- أنا عارف يا جناين إنك متعرفيش أمير عشان تقبلي الجواز منه، ولكنك لو عرفتي أمير اللي أنا عرفته هتلاقيه أطيب وأحسن إنسان ممكن تقابليه، وأوعدك إنك لو قبلتي وادتيله فرصة هتحبيه وهتعيشي معاه في سعادة.. وأنا متأكد من كده.

وبعد أن انتهى من حديثه نظرت إليه جناين وقد أخذت قرارها أخيرًا.. فأومأت برأسها موافقة وهي تبتسم في خجل، فنظر الجميع لها منتظرين سماع إجابتها، فبدأت بالكلام بصوت خافت يملؤه الحياء لتقول:

- أنا موافقة.

حضن كامل أمير بقوة وهو يهنئه على قبول جناين بالزواج منه، بينما قام حسان سريعًا وهو يقول فرحًا:

- كده دعوة الجن بموافقة جناين بالجواز من أمير انتهت خلاص، وبكده كل الجن اللي في القرية اتلزم عليهم الرحيل في الحال.

ثم تحرك حسان من الغرفة ليتجه سريعًا نحو الخارج وهو يقول:

- أنا هروح بسرعة لسليمان أطمن عليه.

وقف أمير ينظر بسعادة نحو جناين، بينما كانت هي تحاول أن تشيح بنظرها عنه وهي تبتسم في خجل، فنظر كامل إليهما والفرحة تملأ قلبه ليقول:

- احنا هنحدد كتب الكتاب كمان أسبوعين وهعملكم أحسن فرح اتعمل في البلد كلها.

فنظرت جناين إليهما وقد احمر وجهها من الخجل، قائلة:

- أنا هروح أقول لأمي زينب وأفرحها.

ثم همّت بالتحرك للخارج وهي تنظر إليهما فصدمت قدمها بالكرسي من جانبها لتعود لتنظر لهما في حرج من فعلتها الحمقاء وأسرعت إلى الخارج، فضحك الاثنان على ما حدث وجلس كامل مع أمير يشكره على موقفه النبيل في إنقاذ أهل القرية وإنقاذه لفتاة بريئة من مصير مجهول ينتظرها لا ذنب لها فيه.

مرت بقية اليوم على خير وقد تأكد الجميع من رحيل الجن عن قريتهم للأبد، وفي المساء دخل كامل إلى غرفته ليفتح الشباك على مصراعيه ولأول مرة منذ أسابيع نظر برأسه للأعلى ليجد القمر ساطعًا يطل بنوره في السماء، فابتسم شاعرًا في نفسه بالأمل والتفاؤل مما هو قادم من خير، ثم نظر إلى القمر لثوان وهو يبتسم في ارتياح نفسي شديد

وتحرك ليجلس على مكتبه ويأتي بمذكراته من الدرج ليكتب بها لأول مرة منذ وفاة والده.

"اليوم سأكتب لأول مرة بعد وفاة والدي ـ رحمه الله ـ اليوم سأكتب نهاية ما حدث في شِمياطِس، فقد رحل عنها بلاؤها أخيرًا، رحل من قتل أبي بدم بارد ليتخلص مني، رحل من قتل نعيم دون ذنب.. انتهى اليوم وعاد كل شيء لطبيعته كما كان منذ وقت قريب، رحل ضيف الشيخ رزق الغامض وعاد من حيثما جاء، وسيتماثل سليمان للشفاء ويعود للعمل قريبا، رحل غبوق وزُريم ومكيول وغيرهم إلى الأبد، وغدًا سيبدأ يوم جديد بلا جان، اليوم تعهدت لأمير وجناين بزفاف ليس له مثيل، اليوم قد تآلف قلبان على عهد بالزواج القريب، وقد عهدت على نفسي أن أتكفل بكل شيء حتى أراهما في بيتهما سعيدين للأبد، اليوم سأنام هانئ البال وقد حللت عن القرية بلاءها، اليوم سأبدأ حياتي الجديدة مخلّدًا ذكرى والدي العزيز ومتبعًا لخطاه كعمدة القرية وراعيًا لأمور أهلها."

* * * *

الفصل الخامس والعشرون

"الرحيل"

مضت أيام عدة منذ أن رحل الجن عن القرية، حاول أمير فيها التقرب من جناين وجعلها تتعرف عليه أكثر، حكى لها كل شيء عنه، حكى لها ما كان يعرفه الآخرون عنه وما كان لا يعرفه أحد، حكى لها عن أحلك أسراره وأبسط أمانيه، حكى لها عن نفسه وأصوله وعائلته، حكى لها كيف أنه جاء إلى هنا لهدف ما ولم يكن يتوقع أنه سيقع في شباك حبها بالفعل.

كل ذلك جعل جناين تعرف أمير على حقيقته أكثر وتحبه أكثر مما كانت تتوقع أنها ستفعل يومًا، فقد وجدت فيه ما لم تجده في غيره، وجدت فيه الحب والحنان اللذين طالما افتقدتهما. وكان أمير منشغلًا في تلك الأيام عن كامل وحسان ونادرًا ما يراهما، فعلى الرغم من ملازمتهم لبعض طيلة الوقت في الآونة الأخيرة إلا أنه برحيل السبب انشغل الجميع في حياته وأخذت وتيرة الحياة مجراها الطبيعى.

فكان كامل منشغلًا بالعموديّةِ ومسؤولياتها التي لا تنتهي، يحمل على عاتقه مطالب أهل القرية ويرعى شؤونهم، وانشغل حسان ـ أيضًا ـ في عمله بعد أن ذاع صيته في القرية كلها فأصبح منشغلًا باستقبال زبائنه الجدد الذين يأتمنونه على طلباتهم وعلى تحقيق رغباتهم، وانشغلت

جنانين والحاجّة زينب في ترتيب بيت جناين ليصبح عش الزوجية ليستقبلهما قريبًا.

ولكن ما لم تعرفه جناين من أمير هو أنه قد بدأ يفيض به الكيل من كل ما يراه حوله.. فكان أمير يرى ما اعتادت جناين عليه ولم يطيقه هو، كان يرى نظرات الناس لها ومعاملتهم السيّئة وكثيرًا ما تعارك مع أحدهم لسوء معاملته لها، ولكنّها كانت تخبره دائما بأنها لم تعد تتضايق من تلك الأمور حيث إنّها قد اعتادت عليها منذ صغرها، وكثيرا ما كانت تطمئنه بأنها لم يعد يهمها هذا العالم من حولها، وأنه قد أصبح هو عالمها الوحيد الذي تعيش فيه.

ولكن كل ذلك لم يهدئ من غضب أمير وكراهيته لأهل القرية لما يراه في أعينهم ومعاملتهم.. فبات المكان الذي حين قدم إليه كان يظنه جنة يتمنى العيش بها يومًا، لتصبح في نظره مكانًا قبيحًا يسكنه من هو أقبح.. فشعر بأنه لن يستطيع العيش هنا لأكثر منذ ذلك وعليه الرحيل.. حقًا لقد كره القرية ومن فيها.

وفي صباح يوم جديد وبينما كانت جناين منشغلة في توضيب بيتها، سمعت صوت طرق على الباب فذهبت لتفتحه فإذ بها تجد أمير واقفًا أمامها، فابتسمت له وهمت بالخروج لتقف معه في الخارج، إلا أنه قد طلب منها طلبًا لم تسمعه من قبل، فقد طلب منها أن يدخل إلى البيت ليتحدث معها في أمر غاية في الأهميّة، وعلى الرغم من

ترددها في الموافقة على دخوله البيت وحدهما إلا أنه قد ألحّ عليها وقد بدا لها أنه يريد أن يحدثها في أمر لا يحتمل التأجيل، وقد لاحظت الضيق الشديد على وجهه وكأن هناك أمرًا يؤرقه ويحتاج للتحدث معها عنه، فقررت أن تسمح له بالدخول ليفصح لها عما هو فيه .

فدخل أمير البيت واصطحبته جناين للجلوس على أريكة في الصالة فجلس سريعًا وجلست هي بجانبه والفضول يعتريها، فوجدته ينظر نحو الأرض في ضيق لا يدري كيف سيبدأ كلامه، فحاولت هي بدء الحديث لتسأله:

- خير يا أمير مالك؟

حاول أمير ترتيب ما سيقوله في رأسه إلا أنّه لم يعرف من أين سيبدأ.. فبدأ بقول أول ما خطر في باله، قائلًا:

- أنا مش عايز أعيش هنا يا جناين.

نظرت إليه جناين في استغراب فأكمل حديثه:

- أنا زهقت من المكان هنا ومبقتش حاسس إني عايز أفضل فيه أكتر من كده.

ثم نظر إليها بنظرات مترجيّة ليكمل:

- إيه رأيك لو نرجع عندي ونتجوز ونعيش هناك.

صدمت جناين لما يطلبه أمير منها، ولكنها حاولت التكلم معه بالمنطق لتقول:

- بس يا أمير أنا معرفش حد من أهلك.. وجايز لما يقابلوني ميحبونيش.

فحاول أمير طمأنتها وإزالة أيّة ظنون بداخلها ليقول:

- أوعدك يا جناين إن أهلي لما يعرفوكي هيحبوكي وهيعاملوكي أحسن من الناس اللي هنا.

فسألته وهي في حيرة من أمرها لتقول:

- طب انت عايز تروحلهم امتى؟

فأجابها سريعًا:

- تعالي نسافر دلوقتي حالًا ونتجوز النهارده هناك.

صدمت جناين من طلب أمير المفاجئ لها في سرعة رحيلهم عن القرية والإسراع في الزواج فأجابته في توتر:

- طيب أروح أقول لأمي زينب لحسن تتخض عليّ.

لاحظ أمير التوتر والتردد الشديد في أعين جناين، فمد يده ليمسك يدها فاحمر وجهها خجلًا وهو يتحسس يدها في حنان ليقول لها:

- جناين أنا بحبك ومش عايز أرجع لأهلي إلا وانتي معايا، أوعدك إننا هنرجع نطمنها عليكي في أقرب وقت.

لم ترد جناين أن تغضب أمير أو ترفض طلبه، فحبها الشديد له أصبح يجعلها لا ترد له طلب على الإطلاق، فنظرت له

وهي تبتسم ثم قامت من مجلسها وهي تقول:

- أنا هقوم أحضر شنطتي.

قاطعها أمير سريعًا وهو يبتسم ليحدثها، قائلًا:

- سيبي حاجتك هنا وأنا هجيبلك أحسن منها.

فنظرت جناين إليه والسعادة تملأ عينيها، ثم أومأت له برأسها لتوافق على ما قال.. فأمسك بيدها ليصطحبها إلى الخارج، ثم توجه نحو باب البيت ليفتحه فوجد حسان واقفًا أمامه وهو يبتسم له، قائلًا:

- على فين يا أمير؟

تعجب أمير من رؤيته لحسان، فهو لم يتوقع مجيئه إلى هنا أو مقابلته قبل أن يرحل مع جناين ويغادرا القرية، فأجابه بنبرة هادئة:

- أنا هاخد جناين وهمشي من هنا.

فابتسم حسان وهو ينظر إلى أمير ويحدثه، قائلًا:

- بس انت لسه منفذتش الخدمة اللي أنا طلبتها منك في مقابل مساعدتي ليك.

نظر إليه أمير في حنق وقد تذكر وعده له حين قابله أول مرة بتنفيذ خدمة له يطلبها منه حين يحتاجها فأجابه:

- وأنا عند وعدي ليك وقت ما تحتاج الخدمة دي مني

هنفذهالك.

ابتسم حسان له ثم تنحى جانبًا مبتعدًا عن طريقه، ليخرج أمير من الباب وخلفه جناين وهي تبتسم لحسان، قائلة في هدوء:

- مع السلامة يا عم حسان.. طمن أمي زينب عليّ وقولها متزعلش مني وإني هجيلها قريب.

أومأ حسان برأسه لها في هدوء وهو يبتسم، قائلًا:

- حاضر.

توقف حسان في صمت والابتسامة ما زالت على وجهه وهو يراقب أمير وجناين وهما يتحركان على الطريق حتى أخذا في الابتعاد أكثر فأكثر..

* * * *

الفصل الأخير

"النهاية"

مرت ساعات كثيرة على رحيل أمير وجناين من القرية ولم يهتم حسان في أن يذهب إلى الحاجّة زينب ليطمئنها على ابنتها، فمرّ ذلك اليوم عليها وكأنه سنة.. بحثت فيه عن ابنتها في كل مكان فلم تجد لها أثرًا، ومرّ الليل عليها في بيتها وقلبها يكاد يتوقف من شدة الخوف والقلق على ابنتها فلم ينم لها جفن طوال الليل منتظرة إتيان الصباح لتذهب إلى كامل ليساعدها في العثور على ابنتها.

وفي الصباح الباكر طرقت الحاجة زينب باب دوار العمدة بقوة ودون توقف حتى سمعت صوتًا يأتي مهرولًا من الداخل، ففتح محروس لها الباب فسألته سريعًا:

- العمدة صاحي؟

تعجب محروس من إتيان الحاجة زينب إليهم في هذا الوقت الباكر فأجابها قائلًا:

- كامل بيه لسه مصحيش يا حاجة زينب... خير؟

- صحّيه عايزاه ضروري.

قالتها الحاجّة زينب وهي تدفع الباب جانبًا في عجالة وتدخل لتقف في وسط الدوار وهي تتحرك يمينًا ويسارًا في توتر، فأغلق محروس الباب وهو ينظر نحوها لا يفهم ماذا

يجري، ثم هم بصعود السلالم المؤدية إلى غرفة كامل سريعًا ليوقظه.

لم تمر دقائق معدودة عليها وهي تدور حول نفسها حتى سمعت صوت نزول كامل على السلالم في عجالة، فنظرت إليه لتراه ينزل سريعًا لها ومن خلفه محروس، ورأى كامل وهو ينزل من السلالم الحاجّة زينب وهي تنظر إليه بوجه مملوء بالخوف والتوتر فأسرع في نزوله حتى وصل اليها ليسألها:

- خير يا حاجة زينب إيه اللي حصل؟

- بنتي يا كامل يابني مش لقياها من امبارح.

قالتها وهي تدعك يديها ببعضهما في توتر وقلق واضحان، فحاول تهدئتها قائلًا:

- يمكن كانت مع أمير طول اليوم وروحت متأخر.

أمسكت الحاجة زينب بيديها كتفي كامل كأنها ترجوه وهي تقول:

- جناين مظهرتش في البلد ولا حد شافها طول اليوم ومباتتش في بيتها، أنا خايفة لا يكون حصلها حاجة.

بدأت ملامح القلق تظهر على وجه كامل هو الآخر مما سمعه، فحاول جمع شتات ذهنه ليقول لها:

- استني هنا طيب وأنا هطلع أغير هدومي وأنزلك بسرعة.

أخذ كامل يصعد السلالم سريعًا وكأنه يقفز من فوقها حتى وصل إلى غرفته، وقام بتغيير ملابسه ليعود إليها، قائلًا:

- انتي هتقعدي هنا وأنا هروح أدور عليها.

فكادت أن تهمّ بالحديث لتطلب منه أن تأتي معه لولا أن قاطعها سريعًا ليقول:

- أنا هاخد الغفر معايا وهقلب البلد لحد ما ألاقيها.

ثم نظر سريعًا نحو محروس ليحدثه، قائلًا:

- عايزك تطلع جري على بيت جناين تستنى قدامه ومتتحركش، ولو ظهرت تاخدها وتيجي على هنا علطول.

أومأ محروس برأسه له ثم همّ للخروج من الدوار، فأمسك كامل بيد الحاجة زينب ليطمئنها، قائلًا:

- خليكي هنا ومتقلقيش.. أنا هلاقيها إن شاء الله.

ثم ترك يدها سريعًا ليتحرك نحو باب الدوار ليخرج منه وهو ينادي على الغفر، فأسرع الاثنان في القدوم إليه فحدثهما، قائلًا:

- انت تروح تدوّر على جناين في كل حتة في البلد.

ثم نظر إليه في حزم وهو يكمل:

- اقلب الدنيا عليها ومترجعش من غيرها.

ثم نظر كامل إلى الآخر، قائلًا:

- وانت روح السوق واسأل الناس عنها، شوف مين آخر مرة شافها وشافها امتى.

فأجابه الاثنان في وقت واحد:

- حاضر يا جناب العمدة.

ثم جرى الاثنان نحو سور الدوار متجهيْن للخارج لتنفيذ أوامره.

أما كامل فقد قرر الذهاب إلى بيته ليأتي بأمير معه للبحث عن جناين، فذهب سريعًا إلى هناك فطرق بابه بقوة للحظات ولم يجب أحد، فما به سوى أن أخرج النسخه الثانيه من المفتاح ليقتحم البيت في عجاله منادياً على أمير، ولكن أتى مسعاه بالفشل فلم يكن هناك أي أثر لوجود أمير او متعلقاته بالمنزل.

نظر كامل ناحية الأرض وهو يفكر فيما يجري من حوله، فلماذا ترك أمير البيت فجأة وما سبب اختفاء جناين في اليوم نفسه.. وما الذي قد يكون حدث لهما وهو لا يعرفه.

كاد كامل يجن من كثرة التفكير، فأشاح بنظره سريعًا عن الأرض وتحرّك وقد قرر الذهاب إلى حسان ليساعده في معرفه ما يحدث، فأخذ يركض على الطريق متّجهًا لبيت حسان وما إن وصل إليه حتى وجد حسان فاتحًا الباب وأحد

سكان القرية يخرج من عنده، فيبدو أنّ حسان قد بدأ في استقبال زبائنه منذ الصباح الباكر وما أن لمح حسان كامل وهو يقترب منه حتى ابتسم له وظل ممسكًا بالباب لينتظره، فمرّ كامل من جوار الرجل الذي خرج من بيت حسان فابتسم له الرجل في حرج فأشاح كامل بوجهه عنه وهو غاضب لينظر ناحية حسان وهو يتجه نحوه حتى وصل إليه، فأدخله حسان إلى البيت وأقفل الباب.

قفل حسان الباب من وراء كامل بينما توجه كامل إلى غرفه الضيافة والتي أصبحت غرفة عمل حسان الحالية التي يستقبل بها زبائنه، فوقف كامل منتظرًا قدوم حسان الذي أتى إليه في هدوء وهو يسأله:

- خير يا عمدة؟

قالها حسان مبتسمًا وكأنه يعرف ما سيقوله كامل له مسبقًا، فحدثه كامل في غضب وهو يقول:

- أمير ساب البلد والحاجّة زينب مش لاقية جناين من امبارح.

وقف حسان مستمعًا لما يقوله كامل في هدوء، بينما بدأ كامل في النظر من حوله مجددًا كأنه يفكر بصوت عال وهو يتعجب، قائلًا:

- ليه أمير مشي من البلد وفاضل كام يوم على فرحه من جناين؟ وجناين كمان اختفت ومش لاقيين لها أثر!

- بس أنا شفت أمير وجناين امبارح.

التفت كامل إليه سريعًا وكأن ما قاله له كان بمثابة بارقة أمل له ليعرف ما الذي حدث لهما البارحة، فنظر إليه متلهفًا وهو يسأله:

- شفتهم امتى؟

ابتسم حسان له وهو يجيبه:

شفتهم امبارح الصبح عند بيت جناين.

ثم توقف عن الكلام للحظة قبل أن يكمل:

- كانوا ماشيين وسايبن البلد.

فنظر إليه كامل مستنكرًا ما يقوله ليسأله مجددًا:

- سايبين البلد! طب ليه؟ وازاي أمير ميقوليش حاجة زي دي؟

وهنا أتت إجابة حسان له كضربة صادمة شلّت تفكيره وجعلته لا يدري ما الذي يتحدث عنه أو بالأحرى ما الذي كان يعرفه حسان منذ البداية ولم يفصح عنه.. فقد تحرّك حسان من جانب كامل ليذهب ناحية المكتبة الخشبية الموجودة في ركن الغرفة وهو يقول في هدوء:

- زُريم ساب البلد ورجع من مكان ما جه.

لم يستوعب كامل أيًا مما قاله حسان له، فظلّ واقفًا متسمّرًا

في مكانه غير قادر على التفكير، فمد حسان يده ناحية الرف الثاني من المكتبة ليلتقط الصحيفة الموضوعة بجانب كتاب الكهانة.. تلك الصحيفة التي رآها لأول مرة حين ذهب إليه سابقًا.

التقط حسان الصحيفة من الرف وأخذها عائدًا إلى كامل وهو يقول:

- زُريم كان فاكر إنّه هيبقى مبسوط لما ييجي يعيش وسطينا، لكنه للأسف كِره البلد وأهلها وقرر إنه يسيب البلد ويرحل تاني وياخد جناين معاه.

انفعل كامل من كلام حسان الغامض له فصاح به غاضبًا وهو يقول:

- زُريم مين؟! أنا بتكلم عن أمير.

وحينها أعطى حسان الصحيفة إلى كامل ثم جلس على الأريكة وهو يبتسم له، فنظر كامل إليه لا يفهم مقصده من إعطائها له، ولكن حسان أشار برأسه له ليقرأها، فأخذ كامل يقلب فيها بعينيه في عُجالة حتى استقر نظره على صفحة معيّنة وقد اتسعت عيناه رعبًا وهو يقرأ ما يراه بداخلها.

عرف كامل حينها أن حسان لم يكن يمزح سابقًا بشأن الصحيفة وما تحتويه، فالكلمات التي قرأها جعلته يفهم أشياءً لم يكن يدركها من قبل.. جعلته يدرك أن حسان كان يعرف الكثير منذ البداية ولم يفصح عنه، أدرك ما كان

يقصده حسان حين قال لأمير في أول مرة رآه بأنه يعرف أنه ليس من هنا وأدرك ما الذي كان يقصده حسان حين طلب من أمير خدمة قائلًا بأن لديه نفوذ ومعارف، أدرك حينها لماذا كان أمير دائم التهرب من مساعدتهم في صرف الجان أو أذيتهم، أدرك حينها لماذا لم يقترب جن البُهم من أمير أو يهاجمه.. وأدرك حينها سبب عواء قطة الشيخ رزق عليه حين رأته معه.

ظلّ كامل ينظر إلى الصحيفة في ذهول وقد أدرك في نهاية الأمر ما كان يخطط له أمير منذ البداية وما الذي أراده ورحل حين حصل عليه.

كان كامل يمسك بالصحيفة التي تعود لأعوام مضت وينظر إلى أول خبر في صفحة الحوادث والذي كان مكتوبًا به كالآتي:

"كشف غموض جريمة الإبراهيمية"

تمكن ضباط المباحث بمديرية أمن الإسكندرية من كشف غموض جريمة القتل البشعة التي رجّت أنحاء الإسكندرية، وترجع وقائع القضية إلى يومين ماضيين حين تلقت الإدارة العامة بلاغًا يفيد بانبعاث رائحة تحلل من شقة في أحد العمائر بحي الإبراهيمية، وعلى الفور توجهت قوة أمنية إلى المكان، وباقتحام الشقة تبين وجود جثة متحللة منذ فترة طويلة وبالتحقيق تم معرفة أنّ الجثة تعود لصاحب

الشقة ويدعى "أمير محمود نور الدين" ويعمل صحفيًّا بجريدة الغد، وبفحص الفريق الجنائي للجثة تبين وجود جرح عرضي غائر بالرقبة وهو ما أدى إلى الوفاة، وبتضييق البحث تم معرفة الجناة والقبض عليهم وبمواجهتهما اعترفا بجريمتهما وأقرّا أن المجني عليه قد عاد في ساعة متأخرة أثناء سرقتهم لشقته ووجدهما فخافا أن يفتضح أمرهما فذبحاه وفرّا بالمسروقات وتم إحالة المتهمين إلى النيابة التي باشرت التحقيق.

* * * *

النهـــاية..

كواليس الرواية

• الرواية كانت من المفترض أن تكونّ قصّةً مصوّرة، وكانت تتحدّث عن فتاةٍ يتيمةٍ صغيرةٍ تسكن في إحدى القرى يصاحبها الجنُّ في كلِّ خطاها، وكانت زيارتها لأهالي القرية بمثابة نذير شؤم حيث يتعرضون للأذى بعد زيارتها لهم، ولكن تمحورت الفكرة داخل عقلي لتخرج في النهاية من شرنقة أفكاري بهذا الشكل.

• كنت أعتزم تسمية الرواية باسم جناين حتى اللحظات الأخيرة من كتابتي لها، ولكن صودف أنْ سمعت عن قرية شِمياطِس والذي لم يبرح عقلي رنين اسمها فقررت أن أجعل أحداث القصة تدور في تلك القرية وأن أطلق اسمها على روايتي.

• إن أحداث الفصل الخامس عشر بعنوان "الشيخ رزق" والذي كان واضحًا أني كنت مقتضبَ الحديثِ في ذكر أحداث الجن بداخلها مقارنة ببقيّة الفصول حيث إنّ جميع الأحداث الأخرى كانت من خيالي على عكس أحداث هذا الفصل بالتحديد، فكلّ ما مرّ به الشيخ رزق مع الجن من مواقف هو جزء من أحداث حقيقيّة عرفتها بشخصي منذ أعوام مضت ولا زالت تترك في نفسي أثرًا سيّئًا حتى الآن؛ ولذلك قصصتها كما حدثت دون محاولة مني للتأليف فيها أو المعالجة.

• وفي النهاية أرجو أن تكونوا قد قضيتم وقتًا طيّبًا في قراءة الرواية والانغراس في أحداثها.. وفي لقاءٍ قادم بإذن الله في روايات أخرى.